فانتوبيا

إسلام علي ★ إلهامي مجدي

فانتوبيا

إســلام عـلي ★ إلهامي مجدي

الطبعة الأولى (يناير ٢٠١٦)

رسمة الغلاف: شادي سيد عتاب

تصميم وخطوط الغلاف: محمد مجدي يوسف

الإطارات الداخلية: آلاء زهير

المراجعة اللغوية والتنسيق الداخلي: إسلام علي

إشراف عام: رباب فؤاد

رقم الإيداع: 2016/4485

الترقيم الدولي: 978-977-6534-14-8



Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

فانتوبيا

إسلام علي * إلهامي مجدي



♥ إهداء إلى من أهدونا كل شيء ♥

إلى الوالدين اللذين جعلهما الله سببًا ليمنحانا نعمة الحياة
ويمدان لنا جسرها..

إلى قرة العين والروح، إخوتنا الذين اشتد بهم عودنا،
فمهدوا لنا السير فوق الجسر..

إلى رفاق الدرب، أصدقائنا الذين عبرنا الجسر بصحبتهم
خطوة بخطوة..

وإلى تلك الملاك الرقيقة الواقفة في نهاية الجسر
منتظرةً أن نعبره بشغف..

إلى (نادي روايات).. ومنتدى (حكاوينا)..

إلى (فانتاسي فورمرز).. وفريق (الطفرات).. وكتيبة (الأشاوس)..

وإلى كل من اهتم بالحصول على نسخة من هذا الكتاب..

إليكم جميعًا نمد هذا الجسر الجديد نحو حياة أخرى..
وعالم يختلف!

☆☆ ☆☆ ☆☆

مقدمة□

"(رستاو).. هذه هي!!"

التقطتُ شطيرة أخرى من الموضوعات فوق الطاولة أمامي، وأنا أحرك رأسي طربًا بما أقرأه.. "أجل أجل لقد كانت هذه عظيمةً حقًا!"

ـ "أتتحدث عن كلمة الغلاف أم عن الشطيرة!؟؟"

نظرت لـ(إسلام) بطرف عيني، وودت لو أضعه في الشطيرة التالية قبل أن ألقي به فى قفص القردة آكلة الشطائر، لكنه أمسك بالكتاب الذى أقرأه فاتحًا فمه على نحو كارتوني، قبل أن يلطم وجهه مولولًا: "(كتاب الموتى)!؟ أهذا ما تقرأه!!؟ فيم كنت تفكر!؟؟ ستستحضر روح الكاهنة (أم-تيتي) لتساعدنا فى كتابة كلمة الغلاف!!؟"

رفعت حاجبي مستنكرًا فى غضب: "(أم-تيتي)!!؟ لاحظ أننا جالسان في المقدمة! بالطبع لم أكن أفكر فى هذا!"

استدرت بجسدي ممسكًا بورقة بيضاء فى يدي، وقمت بشطب أول عنوان فيها [الاستعانة بـ(أم-تيتى)]!

ثم عدت أنظر إليه مبتسمًا فى براءة، بينما كان يعقد هو ذراعيه فى غيظ قائلًا:

"أنت تدرك أنني سأرى محاولتك لإخفاء هذه الورقة فى نهاية الأمر، أليس كذلك؟ ربما لأن كل هذا مكتوب فى مقدمة الكتاب مثلًا!"

أشحت بيدي قبل أن أقول متذمرًا: "سحقًا! لهذا أكره التواجد فى المقدمات!"

☆☆☆☆☆

انتزعت الورقة من إلهامي بخفة فرس النهر التي أمتاز بها، وقلت له مفكرًا: "امممم.. لكن ألا ترى أن المكتوب على ظهر الغلاف قد يعد القارئ بما لن يجده في الداخل؟ نحن لم نكتب على الغلاف حتى هل الكتاب رواية أم مجموعة قصصية!"

نظر لي بطرف عينه وقال بخبث:

"وهل هو رواية أم مجموعة قصصية؟؟"

بادلته النظرة الخبيثة المحببة لكلينا، وقلت:

"على كل لا مجال لتعديل الغلاف حاليًا؛ لأنني أكتب هذه الكلمات الآن بعد أن طبعت الغلاف منذ قليل بالفعل.. والآن عليّ أن أنتهي من المقدمة ليحلق الغلاف الطباعة قبل حفلة التوقيع غدًا"

(إلهامي) ساخرًا: "(ليحلق) يا سيادة المراجع اللغوي!!؟ شعر ولا دقن؟؟"

أنا مغتاظًا: "أقول لك ليس هناك وقت!! حسنًا.. علينا أن نشرح للقراء على الأقل ماهية ما هم مقبلون عليه، وذلك في كلمات موجزة"

اعتدل (إلهامي) وظهرت الجدية واضحة على وجهه، ثم قال:

"المشكلة أن كتابنا يصعب تصنيفه فعلًا حتى علينا كمؤلفيه، ومع كل قدرتنا الفتيقة على الإبداع"

ارتفع من خلفي صوت (أيمن) و(محمود) أصحاب المطبعة ينذروني بضرورة انتهائي الآن وإلا فلأنتظر إلى معرض الكتاب ٢٠١٧، فأمسكت بالورقة أكتب فيها بسرعة:

"(فانتوبيا) هي رحلة أدبية فانتازية خاصة جدًا.. نجول بكم فيها في عالمنا الخاص بكل ما فيه من ألوان أدبية متنوعة.. وكما يقول صديقي (إلهامي) دائمًا: (في سماء اليوتوبيا.. لا شيء يلمع أكثر من نجوم الفانتازيا)"

☆☆☆☆☆

عن الصناديق المغلقة!☐

«نحن نمسك بنصلين من المجد.. هيا لنغني أغنية النصر؛ فلدينا أجنحة الحرية فوق ظهورنا.. لا لن نقول أننا قد هُزمنا.. ليس قبل أن أكون آخر سهمٍ في قلب المعركة.. المعرركة.. ووووهووو!!"

- «أتعرف ما الذي أكرهه أكثر من برودة ديسمبر (سام)؟؟ إنه غناؤك!»

= «أوه (إيلين).. هذا يعني لي الكثير حقًا!»

قالها وهو يجذب جفنه الأيسر إلى الأسفل مخرجًا لسانه لي في غيظ. الأحمق! لا يعرف أنني لم أعد أمتلك أدنى قدر من الحرارة داخل جسدي كي أتقد غضبًا منه!

تجاهلتُ صوته المريع كدب يحتضر، وأنا أنظر بطرف عيني نحو ركن الغرفة.. نحوها هي. كانت جالسةً هناك كعادتها، صامتةً كأن الكلمات كانت لاتزال اختراعًا حديث العهد على أيامها.. دؤوبة على ما تفعله كواحدة من مجموعات النمل المحارب -أكرهه بالمناسبة؛ فقد أفسد لي آخر قطعة من الكعك التي كنت أدخرها من الشهر الماضي- باختصار، كانت أزلية في جلستها تلك!

اقتربت منها وأنا أضع قناع الابتسامة الودود محاولةً أن ألقي حصاةً في تلك البركة الراكدة:

ـ «جدتي.. أريد أن أخرج للعب مع (سام) قليلًا!»

* «لماذا؟؟ هل هي نهاية العالم!؟»

ـ «هاه!؟ كلا ولكن...»

* «هل صارت الدببة القطبية تملك أجنحة؟؟»

= «لديناا أجنحة الحرية فوق ظهورناااا.. ظهورنااااا»

اندفعتُ نحو قائد جوقة التعذيب ذاك، وقد فاض بي، وأنا أعلم ما سأفعله جيدًا.. مُشغل الاسطوانات هذا لن يكون على ما يرام غدًا!

ـ «ولكن يا جدتي هذا ليس عدلًا! لقد صارت حياتي عبارة عن (الاستماع إلى سيمفونية الاحتضار لدى (سام)، رؤيتك تحيكين الملابس، الشجار مع (سام)، ثم المزيد من الحياكة).. لقد نسيت كيف يبدو الناس.. كيف يبدو العالم!!»

* «العالم هو الجحيم بعينه.. تريدين مغادرة الكوخ لكي يسرق الشيطان روحك!؟ إنه يحلق فوق رؤوسنا بالخارج ناثرًا ترابه الأبيض اللعين في كل مكان!! لن تحتمل أنفاسك الصغيرة أن تلتقي بأنفاس الموت الباردة.. لن تحتمل!!»

كان وجهها المتجعد كجدران كوخها قد صار محتقنًا بالدماء، ولم أستطع أن أقول شيئًا آخر، أو إن شئنا الدقة لم أرد أن أقول شيئًا.. علي أن أنتزع نفسي من حلقة الجنون هذه.

ـ «أنا ذاهبة للنوم»

* «فتاة طيبة»

ثم عادت تنظر إلينا متابعةً في نبرةٍ جمدت قطرات الحياة من حولها:

* «(سام).. (إيلين).. ألم تنسيا شيئًا؟؟»

اعتصرت رئتي كي أخرج تلك الزفرة الحارة التي كادت أن تقتلني، وأنا أردد العبارة التي نرددها كل ليلة أنا و(سام) قبل أن نغادرها:

«لا يجب أن نفتح الصندوق مهما حدث.. ومهما كانت الظروف!»

✯✯✯✯✯

لم أستطع أن أقاوم صوت الفراغ الذي أخذ يصرخ في أذني بلا رحمة. الفراغ يعني أن تشعر بكل شيء حولك.. أن تستمع إلى أدق صوت لبعوضة تحط من مكانٍ لآخر.. أن تصير وحيدًا مع أفكارك التي تحيط بك كمسوخ قوطية تنهال عليك من عوالمها الكابوسية في كل ليلة.

الفراغ.. يعني أن أستعيد تلك الذكرى التي حاولتُ أن أصمّ عقلي عنها طيلة الوقت!

منذ عامين كانت قائمة ألقابي حافلةً بكل ما قد تتخيله، إلا لقب واحد. اجتث روحينا أنا و(إيلين) بكل فظاظة ووحشية!

كان والدانا عائدين من إحدى حفلاتهما المعتادة في (موسكو)، ولم نكن مستوعبين لما يحدث حولنا حينها. أذكر أننا قد سمعنا بعض الكلمات فيما بعد مثل (الإفراط في الشراب) و(اختلال عجلة القيادة).. لكن عجلة قيادتنا نحن قد انتهت بنا هنا.. في أحد أكواخ (أويمياكون) لكي نعيش مع جدتي.. أو لنُدفن معها في هذا القبر الثلجي بمعنى أصح!

= «(إيلين) هل نمتِ؟؟»

ـ «علي أن أفعل.. ألا ترى ظل جدتي الواقف وراء الباب يراقبنا كفأري تجارب؟ إنها تتأكد ما إذا كنا قد نمنا أم لا»

= «يقولون أن صبياً سيتزلج غدًا فوق أكبر منحدر جبلي في المنطقة.. كم كنت أحلم أن أرى أمراً كهذا!»

لم تجبني (إيلين) هذه المرة، لكنني استطعت أن أميز صوت نهنهتها الضعيفة التي زادت من ظلمة المكان حولي أكثر فأكثر.

لقد كانت (إيلين) تبكي؛ ربما لأنها تذكرت أننا قد وُصمنا بهذا اللقب للأبد ولم يعد شيء ممكنًا بعد الآن.

ففي النهاية ماذا بوسع (يتيمين) أن يفعلا!؟

كم أكرهك (أوميماكون)! وكم أكرهك أختي! فهذه الدموع التي تنساب فوق وجنتي كان مصيرها أن تحتبس خلف مقطوعة أخرى من مقطوعاتي.

أحتاج إلى الهروب الآن بحق!!

✯✯✯✯✯

رفعت جدتي نظارتها المجبّرة بشريط لاصق قبل أن تقول وهي تحمل حقيبتها استعدادًا للخروج:

* «لن أتغيب.. سوف أذهب إلى (رومينوف) لإحضار اللحم.. ولنأمل أن يعطينا هذا الوغد لحمًا طيبًا هذه المرة؛ فقد كان الحساء يشبه طعم الأحذية الشهر الماضي!»

كنا بالكاد نرى وجهها وهي تضع كل تلك القطع من الملابس التي أفنت شمعة عمرها في حياكتها. إن رآها رجل الثلوج لحسبها أحد رفقائه دون شك!

كانت قد وصلت إلى الباب الثقيل الذي هو آخر حدود عالمنا، وغلافنا الجوي الذي لم يعد يتسع لأنفاسنا، عندما تذكَّرت شيئًا، فالتفتت إلى الوراء في نظرة مخيفة وهي تضغط على كلماتها:

* «لا تفتحا الصندوق! ولا تفتحا باب الكوخ مهما رددت المسوخ لكما من صلوات! هل هذا واضح؟؟»

غمغم (سام) بكلمات غير مفهومة، لعلني خمنتها وقد انطبعت في ذهني أنا الأخرى وهمت أن تقفز على لساني.

ثم أغلقتْ الباب وراءها بعد أن شعرنا بأنامل السقيع الزرقاء تدغدغنا للحظات!

جلستُ على الكرسي المتهالك وأنا أحدق في أرضية الكوخ التي كساها فراء دب أشهب ضخم. لقد كان جدي صيادًا ماهرًا كما كان يحكي لنا والدي قبل أن نخلد للنوم، ولابد أن هذا واحد من انجازاته.

= «هل سمعتِ شيئًا؟؟»

- «بلى.. إنها نبضات الكوخ الذي يهم أن يبتلعنا أحياء.. كف عن النحيب (سام)!»

= «أنا لست أدعي ذلك.. آآآه.. سوف أحاول إصلاح مشغل الاسطوانات، فيبدو أنني أصبت بالجنون!!»

وضع يديه قُرب المدفأة للحظات، قبل أن ينظر لي باستغراب متجهًا نحو غرفة النوم.

لكن الأكثر غرابة، والذي لم يكن يعلمه، أن ثمة صوت قد سمعته أنا أيضًا.

صوت استطعت أن أميزه فور سماعه!



ـ «(سام)!! لقد كدت أن تقتلني من الرعب!»

طالعتُ وجه (إيلين) المصفر وهي تقف أمامي ولايزال جسدها يرتجف من أثر المفاجأة. قلت لها في خبث بعد أن تسللت من خلفها:

= «إنها (ماريا) إذن! ما الذي تفعلينه بها!؟»

(ماريا) كانت دمية (الماتريوشكا) الخاصة بأختي، وقد كانت تجلس معها لساعات أكثر من التي تقضيها معنا حتى.

ههههه.. فتيات!

اقتربت (إيلين) مني في حذر وهي تقول بصوت هامس:

ـ «ذاك الصوت الذي كنت تتحدث عنه.. لقد كانت (ماريا)!»

حدقتُ فيها بعينين مستنكرتين، قبل أن أقرب دميتها من أذني ضاحكًا:

= «أتدرين ما الذي تخبرني به (ماريا)؟؟ أن أحدهم يعاني من نقص الأوكسجين في دماغه»

انتزعَتها مني في غضب، قبل أن تتركني متجهةً نحو ممر في آخر الكوخ، أعرفه جيدًا أكثر مما أعرف أختي ذاتها:

ـ «لقد طلَبَت مني.. أن أفتح الصندوق!»

شعرت أن صاعقة قد ضربت رأسي ما إن نطقتها (إيلين) بشفاهها المرتجفة. صرت أسمع دقات قلبي الذي كاد أن يصرخ بي كي أهدأ قليلًا.

= «(إيي).. (إيلين).. لا يمكننا فعل ذلك! سوف تغضب جدتي وقد تجعلنا نرقد إلى جوار ذاك الدب التعس إلى الأبد!»

لكنها بدت مصرة وهي تقف إلى جوار الباب القديم. لقد كانت أجرأ مني دومًا، ويبدو أن مسألة (الصندوق) قد باتت مصيرية لها.

ـ «لن تعود جدتي قبل ساعة، وإن كنا سعيدي الحظ فسوف تقضي وقتًا أطول في الشجار مع (رومينوف).. هيا ألا تريد ذلك؟»

خُيِّل إليّ أنني سمعتُ صوتًا آتيًا من داخل دميتها. كان الصوت مألوفًا.. كصوت والدتي عندما كانت تهدهدني في تلك الليالي الشتوية القاسية بصوتها الدافئ. وبدأ السحر يفتت مقاومتي شيئًا فشيئًا كأحجار الـ(دومينو) تتساقط الواحدة تلو الأخرى»

= «لنفتح الصندوق (إيلين).. لنفتحه قبل أن يقتلنا الفضول!»

☆☆☆☆☆

~ «ما الذي وجدتِه في الصندوق (إيلين)؟؟ ماذا كانت تخفي جدتكما؟؟»

كانت العبارة صادرة من رجل هادئ الملامح يجلس في مقعده إلى جوار فراش وثير، ومن خلفه يجلس عدد آخر من الرجال ترتسم على وجوههم لوحات الدهشة في أوج وضوحها.

ـ «لا أريد أن أفتح الصندوق.. لقد.. لقد عدلت عن قراري!»

~ «ولكن عليكِ أن تفعلي ذلك.. ألم تطلب منك (ماريا) فعلها؟؟ هلا فعلتها أنت (سام)؟؟»

صدرت بعض الهمهمات من خلفه فرفع إصبعه مشيراً إلى الجميع أن يلزموا الهدوء، ثم عاد ينظر نحو الفراش مرة أخرى.

= «أنا من سيفتح الصندوق.. (إيلين) لم تتحمل هذا الضغط!»

~ «عظيم (سام)! لقد أثبتّ أنك بطل مثل هؤلاء الذين تدور عنهم أغنيتك. والآن.. ماذا وجدت بالصندوق؟؟»

علت لهجة الصوت كأنها بمثابة تحذير للرجل:

- «(سام) لا تخبره.. يجب أن يظل ذاك الصندوق مدفونًا هناك في تلك الغرفة المظلمة.. يجب أن تموت تلك الذكرى من رؤوسنا للأبد!»

حاول الرجل أن يقول شيئًا، ولكن قبل أن يمط شفتيه وسط لحيته البيضاء باغتته متابعةً في صراخ حاد:

«اغرب عن وجوهنا أيها الكاذب الحاقد!! الشياطين تلعنك في أوكارها كما تلعن السماوات نعيق الغربان! ارحل إلى جحيمك!!»

هز الرجل رأسه في أسى، ثم بدا عليه التفكير لبرهة، قبل أن يمد يده نحو أقرب الرجال إليه قائلًا:

~ «أعطني إياها!»

ناوله الرجل ما طلبه بحرص شديد، فتابع هو في هدوء محركًا يده من وراء ظهره على مضض:

~ «(إيلين)، (سام).. يؤسفني أن أقول لكما ذلك، ولكن...»

ثم أخرج يديه أمامه هاتفًا:

~ «انظرا إلى هذه المرآة جيدًا!»

بعدها سمع الجميع صوت الصرخات الملتاعة التي كادت أن تصم آذانهم، واندفع عدد من الرجال الذين يرتدون المعاطف البيضاء نحو الفراش محاولين استيعاب الموقف.

ومن فوق الفراش، ومن وسط هذه الصرخات الأنينية التائهة، كانت بعض الكلمات غير الواضحة تخرج من فم العجوز الراقدة فوقه.

* «إنها الذئاب الحمراء!! الذئاب الحمراء كانت بالصندوق!!»

نظر أحد الرجال الجالسين في الخلف بدهشة متسائلًا:

«الذئاب الحمراء!؟ ما الذي يعنيه ذلك بروفيسور؟؟»

خلع الرجل الذي كان يجلس بجوار الفراش نظارته الطبية وهو يلملم أوراقه ناهضًا.

~ «الذئاب الحمراء كانت المفتاح.. الذكرى التي أحاطتها السيدة (تشيكوف) بكل هذه الأسوار لكي لا يستعيدها عقلها بأي ثمن. دائمًا ما يكون لمرضى تعدد الشخصية الفصامي صدمة تكون بمثابة النواة التي تقوم عليها عوالمهم الغامضة التي لا يدركها أحد!»

أشارت واحدة من تلاميذه بإحدى الورقات التي كانت تمسك بها قائلةً في أسف:

«إلى الحد الذي تستطيع معه أن تؤلف ما حدث للصغيرين بعد أن تركت الكوخ كذلك!؟؟ هي لم تر أي شيء مما أخبرتنا به!؟؟»

سار البروفيسور نحو باب حجرة المشفى، وهو يراقب أحد الممرضين يعطيها محقنًا في ذراعها، قبل أن يقول بعينين سارحتين:

~ «لا حدود لما قد يصنعه العقل البشري وما قد ننسجه من أقسى مخاوفنا.. لقد كنا بحاجة إلى فتح ذاك الصندوق الذي أخفته عن شخصيتيها الأخرتين.. لقد كنا بحاجة إلى استعادة السيدة (تشيكوف) من داخل (إيلين) و(سام)!»

قالها ثم غادر الغرفة، وصوت العجوز يتمتم من خلفهم وقد بدأ مفعول الدواء يسري في أوردتها:

* «جدتي، أريد أن أخرج للعب مع (سام) قليلًا.. (إيلين) هل نمتي؟؟.. يقولون أن صبيًا سيتزلج غدًا فوق أكبر منحدر جبلي في المنطقة.. لنفتح الصندوق (إيلين).. لنفتحه قبل أن يقتلنا....»

وإلى جوارها على إحدى الطاولات، كانت جريدة ملقاة فوقها، وقد برز فوقها عنوانان كبيران باللون الأحمر القاني:

"صبي في مدينة (أويمياكون) ينجح في التزلج من فوق أعلى تلة ثلجية"

"لقى صبيان مصرعيهما قرب أحد الأكواخ الكامنة في أطراف (أويمياكون).. التحقيقات الأولية تشير إلى وجود آثار لهجوم من حيوان مفترس، يرجح أن يكون ذئبًا ضاريًا، مما ينفي وجود شبهة جنائية..!!"

سهم وطار

وبإصرار

شق جدار قلب عنيد

خلَّى العند يروح لبعيد

خلاه يبقى قلب جديد

قلب سعيد

جبار انت يا كيوبيد!

سهم رهيب

وبدون ترتيب

كشف ملامح قلب صموت

خرّجه من حالة سكوت

خلاه في الحب يروح ميجيش

خلاه ف دنيا العشق يعيش

ويموت!

باسم

كان يتلفت حوله في توتر، حتى رآها آتية أخيراً.

اقترب منها راسمًا على شفتيه ابتسامة لطيفة، وقال:

«لقد تأخرتِ اليوم أيضًا!»

وضعت نظارتها الشمسية في اضطراب، فقال بنفس الابتسامة:

« نظارة رائعة! تبدين جميلة معها رغم أنها تخفي عينيكِ الساحرتين»

ابتلعت ريقها في توتر جم، وقالت:

« (باسم).. أريدك أن تسمعني قليلًا»

تحولت بسمته الواسعة إلى قلق واضح، وقال:

«(فاتن).. لا تبدين على ما يرام اليوم.. ما بك؟؟»

اضطرب وجهها أكثر، وقالت:

«فقط اسمعني رجاءَ»

حاولت أن تنظر في عينيه مباشرة، لكنها فشلت حتى مع النظارة؛ أحست أنه يستطيع سبر أغوار عينيها حتى مع النظارة الداكنة، ومن عينيها إلى عقلها وقلبها ليرى كل شيء، فأبعدت نظرها إلى أي شيء آخر، وقالت:

« (باسم).. أنا آسفة لأجلك حقًا.. لكننا لن نستطيع الاستمرار سويًا»

« لــن نـ ـستطـ ـيع الاستمرار سويـ ـًا!؟»

أومأت برأسها بصعوبة، وابتلعت ريقها من جديد لتقول:

« نعم.. أتـ.. أتمنى لك حظًا أفضل مع فتاة أفضل مني»

حملق في وجهها لثوان، قبل أن ينفجر فجأة في الضحك الطفولي.

«ههههههههه.. تمزحيييين!»

«لا! (باسم).. أرجوك..»

أشار لها إشارة مازحة وقال بنظرة حاذقة هزلية:

«دائمًا ما تفعلينها فيّ.. لكني كشفتك هذه المرة»

سالت دمعة حارقة من عينها، وبدأ صوتها يعلو.

«(باسم).. اسمعني رجاءَ!»

اتجهت كثير من الأنظار إليهما، لكنها استطاعت تجاهل ذلك، واستطاعت كذلك خفض صوتها من جديد لتقول:

«(باسم).. عليك أن تفهم.. أنا...

مد يده إلى وجهها في تلك اللحظة، ففزعت وانتفضت.. لكنه فقط رفع نظارتها بطرف إصبعه بهدوء، ليمسح دموعها بأنملة الآخر قائلًا بقلق:

«أنتِ تبكين!»

سحبت عينها ودموعها من أنامله الحانية، وقالت بصعوبة:

«(باسم)! أنا لا أمزح.. سأتركك وعليك تفهّم هذا»

قال بجدية حاول جعلها حازمة:

«(فاتن)! توقفي عن المزاح الآن!»

عادت تصرخ في وجهه وتقول:

«أيها الأحمق! سأتركك سأتركك! لم أعد أحبك!»

ارتبك وقال:

«هل فعلت شيئًا آلمكِ!؟»

انهارت من جديد، وانهمرت الدموع من عينيها.. حاول مسحها من جديد.. لكنها دفعت يده بعيدًا بعنف.

حملق في عينيها المنكسرتين، فازدادتا انكسارًا، ونظرت له قائلة من وسط دموعها:

«لماذا أنت مثالي بهذا الشكل!؟ لماذا تدفع الآخرين لظلمك مع كل تصرف يتصرفونه!؟»

تلعثم وقال:

«أنا ا ا ا لا أقصد ذلك»

«أنت تذبحني يا (باسم).. مع كل كلمة تقولها الآن تذبحني.. لكني أنا المذنبة منذ البداية؛ ما كان على بشرية خطَّاءة مثلي أن ترتبط بملاك مثلك»

أطلت من عينيه نظرة حانية، وأمسك بيدها قائلًا:

«دعكِ من هذا الكلام الفارغ.. أنتِ فقط في حالة سيئة الآن»

أحست بالحنان والحب يسريان من كفه ليدها وجسدها كله، وشعرت برغبة في أن ترتمي بين ذراعيه باكية.. لكنها استجمعت شدتها كلها، ودفعت يده بعنف مرة أخرى قائلة:

«أنت الذي لا تفهم! أنا لا أحبـــــك!»

وجد (عصام)، زميلهما القريب من الواقعة، أن الموقف تطور بشدة، وأصبح يتطلب التدخل الآن، فسحب نفسًا عميقًا من سيجارته، وتقدم إلى ما خلف زميله واضعًا يده على كتفه، فالتفت له الأخير في دهشة؛ أما الثانية

فضغطت على أسنانها بقوة تحبس انفعالًا عظيمًا، قبل أن تبتعد مهرولة إلى خارج الكلية تمامًا.

«لا أعرف ماذا بها اليوم!»

«الأمر واضح يا (باسم).. أنت فقط الذي ترفض أن تفهم»

«أفهم ماذا!!؟؟»

«هي تريد إنهاء علاقتكما فعلًا.. لقد تخلت عنك دون ذنب منك.. هي لا تحبك، وبالفعل فهي لا تستحقك!»

«إذا كانت لا تحبني، فلماذا كانت تبكي!!؟»

«هذا مجرد شعور بالذنب تدفعه داخلها طيبتك وحبك لها.. لو لم تكن تحبها وتهتم لأمرها لما كانت ذرفت دمعة واحدة»

«لكن...»

ربت (عصام) على كتفه، وقال:

«اسمع.. سأخبرك بالحقيقة.. لقد سمعت أن معيدًا في الكلية قد عرض عليها أن يخطبها، ومما رأيته الآن يبدو أن لعابها قد سال لذلك»

تفجر الذهول على وجهه، وهتف:

«ما الذي تقوله!!؟ لكنها كانت تحبني! هل ستتوقف عن حبي في لحظة فجأة لأن آخَر قد طلب خطبتها!!؟»

ألقى (عصام) السيجارة من يده، وزفر آخر أنفاسها، ثم قال:

«اسمع يا (باسم).. الفتيات يفكرن بطريقة أخرى غير التي تفكر بها أنت. في الواقع لا أحد الآن يفكر كما تفكر أنت»

نظر إليه في غير فهم، فزفر (عصام) زفرة أخرى وقال:

«الفتيات يحببن من يحبهن ويهتم لأمرهن، ويتعلقن به ويرغبن في وجوده إلى جانبهن طوال الوقت.. لكنهن في النهاية يتزوجن من يملك الشقة والمهر والمستقبل المشرق، وطالما أنه يرغبها فالحب سيأتي فيما بعد غالباَ لا مشكلة»

اتسعت عيناه أكثر وأكثر، وقال غير مصدق:

«لكن... المشاعر..!! ثم هل أنا لا أملك مستقبلًا مشرقًا!؟»

ربت صديقه على كتفه وقال:

«أوووه.. باسم بااسم! لربما تكون ما تزال متعلقة بك.. لكنها تفكر الآن بطريقة عملية أكثر؛ أنت أكبر منها بشهور قليلة، كليتك لها مستقبل ممتاز لكن ما زالت أمامك سنوات لتصنع هذا المستقبل إذا صنعته! والفـ...

مقاطعًا بقوة:

«سوف أصنعه!»

هز (عصام) رأسه، وقال:

«هذه فرضيات يا عزيزي، مهما كانت قوية فهي ما تزال فرضيات.. والعمليّة لا تعترف بالفرضيات بل بالوقائع المؤكدة.. مثل أن ذاك الآخر معيّن في الكلية كمعيد بالفعل، ويعطي دروسًا خارجية تحقق له دخلًا ممتازًا، كما أنه يُحضِّر رسالة الماجستير ومن بعدها الدكتوراه طبعًا، وسيصبح أستاذًا في الكلية.. كم أمامك أنت لتحقق كل هذا؟؟ الفتيات يجب أن يتزوجن في سن مبكرة وكفى، لكن نحن يجب علينا أن نكون جاهزين تمامًا للحاضر والآت قبل أن نتجرأ ونطلب الزواج من إحداهن.. هي معادلة مختلة ساخرة لا ترضي العشاق أبدًا.. لكنها ترضي العمليين جدًا، والجميع من حولك عمليون؛ لذلك القاعدة المأثورة هي [لا تحب فتاة

ليست أصغر منك بعدة سنوات على الأقل، إلا إن كنت تملك شقة مجهزة أو كان والدك مليونيراً]»

التفت من الأرض إليه، وقال باستنكار واهن:

«وهل نحن نختار من نحب!؟»

بدأ ضيق (عصام) يتجلى أكثر، وقال:

«عليك أن تتعلم هذا وتعتاد عليه؛ لأن هذا هو الواقع شئت أم أبيت.. هناك حالات شاذة -مثلك- لكن لا تراهن عليها بعدًا لأنها نادرة جدًا»

صمت هذه المرة لدقيقة كاملة ناظرًا خلالها إلى الأرض، قبل أن يلتفت إلى زميله ويقول مستنجدًا بأمل أخير:

« لست أصدق أن الجميع يفكر هكذا فعلًا.. هل أنت أيضًا تفكر هكذا يا (عصام)؟؟»

فرك (عصام) جبهته وعينيه يحاول تفريغ العصبية، ثم قال بحسم:

«نعم! نعم يا (باسم) أنا أيضًا أفكر هكذا، والجميع يفكر هكذا.. أنت وحدك الغريب عن هذا العالم»

"أنت وحدك الغريب عن هذا العالم"

"الغريب عن هذا العالم"

"الغريب عن هذا العالم"

ترددت الكلمة في أصداء عقله كأجراس ألف كنيسة، فتسمرت ملامحه على الجمود فجأة.

فكر (عصام) في احتوائه، وبدأ يبحث بسرعة عن مدخل لهذا.. لكن الثاني بدأ يتحرك بهدوء تجاه بوابة الكلية.

ناداه (عصام) عدة مرات فلم يستجب، صمت الأول، ثم أخرج علبة سجائره وانتزع منها سيجارة أخرى ألقاها بين شفتيه بضيق، وغمغم:

«يااا لبؤس الأبرياء!»

☆☆☆☆☆

حين أتى (باسم) إلى الكلية في اليوم التالي كان الإشراق قد عاد لوجهه بشكل غريب، على الأقل بالنسبة لـ (عصام).. وكذا أتى (باسم) في اليوم الثالث والرابع والخامس، لكن (فاتن) لم تفعل.

كانت تلك المرة هي آخر مرة يرى فيها (عصام) (فاتن) في الكلية.

مدفوعًا بالفضول البشري سأل عنها أقرب صديقاتها، لكنهن فجعنه بأنهن لا يعرفن عمن يتحدث أصلًا.. هذا جنون! فجأة لا أحد في الكلية يعرف عنها أي شيء حتى وجودها نفسه!

تجرأ أخيراً وذهب إلى المعيد الذي كان على وشك خطبتها، لكن الأخير أخبره دون أن يرفع ناظريه عن كتبه وأوراقه بأنه لا يعرف طالبة بهذا الاسم. رقم هاتفها المحمول صار غير موجود بالخدمة فجأة. حاول الحصول على رقم هاتف منزلها، لكن ذلك كان مستحيلًا؛ فاسمها ليس موجودًا بأي من كشوف طلاب الكلية!

كاد (عصام) يجن! هل فجأة تتحول فتاة يعرفها منذ الطفولة إلى شبح!!؟

واحد فقط لم يسأله عنها، رغم أنه ربما كان الأجدر بالسؤال! رهبة غريبة منعته من سؤال (باسم) عن (فاتن) طوال تلك الأيام! لكن لابد من سؤاله الآن! "سأسأله الآن وأفهم أو سأجن"، هذا فكر (عصام) وهو يسرع الخطى نحو (باسم) الجالس في مقدمة المدرج الخالي يرسم شيئًا ما على لوحة كبيرة مع ملامحه المشرقة دائمًا.

لحظة! كيف لم ينتبه لهذه النقطة أيضًا!؟

إن كان الجميع قد نسي فاتن بشكل تام فجأة، فماذا عن (باسم) الذي خرج من الكلية خلفها ذاك اليوم وملامحه قد انقلبت مائة وثمانين درجة، ليعود في اليوم التالي مشرقًا وكأن شيئًا لم يكن؟؟ هل سقطت من ذاكرته هو أيضًا فنسي قصة حبه لها وتركها إياه وكل ذلك!؟؟ متى حدثت ظاهرة النسيان الجماعي هته بالضبط؟؟ وهل يمكن أن (باسم) كان طلقة البدء؟؟

اجتاحت رهبة الغموض جسده، وفكر في التراجع، لكن أوان ذاك التراجع كان قد فات؛ فها هو ذا أمام (باسم)، والأخير قد التفت إليه بالفعل.

ابتسم له (باسم) بود، وسأله:

« خيراً يا عصام؟ أهناك شيء؟؟»

دفع (عصام) نفسه ليقول بسرعة:

«نعم! هل تعلم ماذا حدث لـ (فاتن)؟؟»

اصطبغ وجه (باسم) بالحيرة التامة، وهرش رأسه قائلًا:

«فاتن!؟؟»

كاد (عصام) يومئ برأسه مؤكدًا، لكن دماغه وجسده ارتجا بعنف لدى رؤيته وجه (باسم) ينقلب فجأة لذاك الجمود المرعب تمامًا كما ذاك اليوم، وأحس أن كل شيء من حول الوجه الجامد قد تحول إلى فراغ!

تحولت الرهبة داخله إلى هلع، ثم...

«هل أنت متأكد من الاسم؟؟»

كان هذا (باسم) الذي ما يزال يهرش رأسه محاولًا التذكر.

حملق (عصام) في وجهه بدهشة، وقال:

«اسم!!؟»

انتقلت دهشته إلى (باسم) الذي قال:

«نعم! (فاتن).. سألتني عمن تدعى (فاتن) لتوك!»

تضاعفت دهشة (عصام)، وسأله:

«أأنت متأكد من أنني فعلت!؟»

ارتفع حاجبا (باسم) إلى منتهاهما، وقال:

«نعم!!»

قال (عصام) مذهولًا:

« لست أفهم شيئًا! فأنا لا أعرف فتاة بهذا الاسم أصلًا!»

تبادلا نظرات الدهشة، ثم هز (باسم) كتفيه مستسلمًا، وقال:

«حسنًا دعك! قل لي.. ما رأيك في رسمتي الجديدة؟؟» قالها مشيراً إلى اللوحة أمامه.

ألقى (عصام) نظرة على اللوحة، ثم أطلق صفير إعجاب قصير، وقال لاكزًا (باسم):

«من هذه الفتاة الجميلة؟؟ اعترف الآن أيها الخلبوس!»

احمر وجه (باسم) خجلًا، وقال ناظرًا إلى الفتاة بابتسامة هادئة:

«صدقني لست أعرف! لي عدة أيام لا أرسم غيرها.. لكن لها عينين ساحرتين.. أليس كذلك؟»

▬ ▬ ▬

انهيار اللوحة الأخيرة !□

أمسك بالقلم محدقًا في فضاء الصفحة المترامي أمامه كعالم من الفراغ الأبيض الذي ينتظر منه أن يبنيه بكوكبة من كلماته. ولم يطل انتظاره كثيراً حتى أتت الشرارة الأولى لـ(انفجاره الكوني العظيم)، فشرع يكتب والحبر ينسال من فوهة القلم محرقًا حدائق الصمت أخيراً بكل ما يعتمل في داخله:

"أمرٌ مضحك! هل تعلمين أن آخر ما خطته يدي عنكِ لم تكن أحرفًا وكلمات كما اعتدت دومًا أن أكتب لكِ. كان آخر ما سطره قلبي فوق الورق هو صورة.. لوحة رسمتها واضعًا فيها قطعة من روحي تمامًا كما كنت أضع قطعًا وقطعًا منها بين يديك، حتى أحسست مع الوقت أنني قد صرت الغريب الذي استأجر منك قطعة من هذه الروح وأنتِ مالكتها. تذكرين كيف كانت؟ لا أظن ذلك، ولكي أعفيكِ من الحرج فأنا لا أهتم في الحقيقة! أجل فصورتك لم تكن آخر شيء رسمته بالمناسبة؛ فلقد تعلمت جيدا كيف أرسم لي قناعًا محكمًا من اللامبالاة أحطته بعديد الألوان: الابتسامات الصفراء الشاحبة، التي تعانقها أعين رمادية باردة خالية من أي شيء.. خالية منكِ تحديدًا!

أتحدث هنا عن جميع الأعين؛ فلم تعد تبصركِ حتى عين الخيال. لقد انطفأت عين الحلم لدي.. حطمتِها أنتِ حين ركلتِ القمر من وسط سمائي، ليهوي بخسوفه صوبها محطمًا إياها كمصابيح الطريق حين يكسرها الأطفال بكرتهم.

لا بأس؛ فقد كنتِ طفلةً أيضًا. هذا ما أخبرتِني به على أية حال. حين جلست لأرسمك وقتها كنت أدرك جيدًا من جميع خلاياي أنني أفعل

شيئًا لم أفعله مسبقًا لأحد. تلك لم تكن لوحةً عاديةً؛ لقد كانت تتويجًا لكِ فوق عرش لم تعتلهِ غيرك.. كانت انعكاسًا لما رسمته أنتِ في داخلي طوال الوقت الذي تهادت فيه روحانا جنبًا إلى جنب بين أحضان هذا العالم. ولكن للأسف، يبدو أنني كنت مخطئًا في اختيار نوع الأقلام التي رسمت بها لوحة الحياة معكِ؛ فاخترتها رديئةً مزاجية سرعان ما تبهت ألوانها وتذهب ريحها. لم تكن اللوحة المثالية التي تصورت أنها ستكون!

أنا الآن أستمع إلى مقطع من تلك الموسيقى التي كنتِ تحبينها.. أشرب من ذاك المشروب الذي كنتِ تفضلينه.. أنظر إلى اللوحة التي خطتها أناملي وهي تنشدك العذب من قصائد الغزل مع كل تفصيلة ملائكية ترسمها منكِ. هل تعلمين لِمَ أفعل ذلك؟؟

فقط أردتُ أن أستعيد تلك القطع المتفرقة من روحي، وأن ألملم شتاتها الذي استودعته يومًا داخل ملامح عالمك بكل ذكرياته وتفاصيله.. فقط أردتُ أن أنتزع نفسي لي مجددًا.. منكِ ومن لوحتك!!"

▬ ■ ▬



هاكِ روحي
مزقيها..
وامسكي ريح القصائد
التي لم تكتبيها
مزقيها.. ومزقيني
واقتلي الباقي بعشقي
في فؤادك.. واتركيني
علني أقتات وطنا
من فتات العاشقين
لا تظني أن عيني
لم تزل تهوى الأنين

دام فضلك.. ذاك صنعك
جلدي القاسي الثخين
قد نما لما الربيع
مات في برد الشتاء
بئس ما أسقيتِ نفسي
ألف كأس من جفاء
بئس عقلي.. والغباء
اكتبي الفصل الأخير
زيِّنيه.. ومزقيه
ذاك ما عودتِ قلبي
تسعديه..
وتحرقيه!!

الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل□

قبل أن نبدأ دعنا ندير عقارب الساعة إلى الوراء قليلًا.

ماذا!؟ ألا يعجبك ذلك؟ تظن أن هذا الأمر غريبًا غير مألوف في البدايات!؟ لا بأس.. لنلق نظرة على زاوية الزمن المكبلة بين العقربين الحاليين! الظلام قِبلة العقل هنا وحيثما يولي عينيه يجده رابضًا أمامه.. أو لا يجده إن شئنا الدقة؛ فأنت لن ترى الظلام في الظلام!

ثمة صوت رتيب آت من بقعة ما في الغرفة.. يبدو كأنها قطرات! قطرات تتولد الواحدة منها من رحم الأخرى، ثم لا تلبث أن تلقى الأخيرة مصرعها على يد القطرة الجديدة التي تدفعها نحو الهلاك وهكذا دواليك. لكن قطرات الماء ليست بهذه اللزوجة التي تجعلها تستغرق كل هذا الوقت في السقوط! قطرات الماء لن يصحبها ذاك الصوت الذي يشبه تمزيق الأوصال.. ذاك الصوت الذي لن تسمعه إلا إذا قابلت حيوانًا مصابًا بالسعار من قبل ليكون ذلك آخر ما ستستقبله أذناك في هذا العالم قبل أن تسقط على الأرض متلويًا كطير مذبوح، بينما تستمع إلى عملية التهامك البطيئة بجسد مشلول وعينين زجاجيتين كعيون القرش.

ثمة أحد ما يُقطِّع الآن في مكان ما من الغرفة، وحتى الخيط الفضي للقمر يرتعد من مجرد فكرة الدخول إلى هنا!!

لهذا أكره الأشخاص عديمي البصيرة؛ دائمًا ما تكون عاقبتهم سيئة إلى حد فادح! هل وافقت على الرجوع إلى الوراء قليلًا الآن؟؟

عظيم.. ظننت للحظة أنك لن تقولها!



[قبل ذلك بنحو ٣٦ ساعة..]

ـ "أكانت تلك العلبة الثالثة أم الرابعة؟؟ لا أدري.. ولكن ما أعلمه جيدًا أن الخطوة القادمة ستكون انتزاع رئتي ذاتها لأسكب عليها الكيروسين، وأجلس مراقبًا الألعاب النارية بأعصابٍ باردة!!"

ألقى بلفافة التبغ داخل فمه محركًا إياها كأنه على وشك ابتلاعها، ثم ضرب بكفه على المكتب هاتفًا وهو يعيد رفع أكمامه التي انزلقت:

ـ "عشرون عامًا.. هي المدة التي قضيتها في هذه المهنة، حتى صرت كعَرّابي الصحراء، أفهم الرسائل التي تتركها الرمال فوق صفحاتها المترامية، وأحفظ مواضع النجوم من السماء.. لكنني لم أرَ أبدًا مثيلًا لما حدث في الأيام الماضية تلك.. هل اجتاح العالم طوفان جديد من الجنون؟؟"

هز محدثه كتفيه ضاربًا كفًا بكف وهو يؤكد:

= "أشعر أننا غارقون في كابوس! لم يسبق أن تلقينا هذا الكم المرعب من بلاغات القتل مطلقًا.. أقسم أنني لا أكاد أضع سماعة الهاتف حتى يرن مرة أخرى حاملًا جريمة أبشع من سابقتها!!"

ـ "حتى الكم ليس هو المصيبة الوحيدة! انظر يا (عادل).. انظر إلى ملف كل قضية.. (مصرع سيدة على يد ابنتها الوحيدة!).. (مصرع ٥ أطفال خنقًا على يد والدتهم!).. (زوجة تذبح زوجها أثناء نومه!)، والعشرات غيرهم، وجميعهم نفس الحقيقة الرهيبة الوحيدة.. لقد لقوا حتفهم على أيدي ذويهم!!"

طرق أحدهم باب الغرفة، فالتقط شهيقًا عميقًا حبسه داخل صدره، قبل أن يقول بحزم: "ادخل يا (صبحي)!"

فُتح الباب، ليدلف منه الجندي مؤديًا التحية العسكرية في خشونة قائلًا:

"(حسام) بيه.. البلاغ الأخير المقدم إلى سيادتك.. لقد تم الإمساك بالمتهم!"

نهض (حسام) من على مقعده في سرعة كالملدوغ، وأشار إلى الجندي صائحًا:

ـ "أين هو؟؟ احضروه إلى هنا في الحال!!"

ثم التفت إلى (عادل) وعيناه تلمعان ضاغطًا على حروفه:

ـ "لا أصدق أن انفراجة أمل قد لاحت أخيرًا! لنذهب لنرى أي مسخ قد قذفه الجحيم إلينا هذه المرة"

✯✯✯✯✯

القبر!!

هذا هو الوصف الأبلغ لتلك الغرفة التي وضعوا فيها الشاب. كانت ذات سواد عدمي دامس إلا من شبح ضوء كئيب مسلط على رأسه، كانت الغرفة لتبدو أكثر بهجة لو أنهم نزعوه منها! كما أن الطاولة الخشبية الممتدة التي كان يجلس خلفها جعلته أشبه بالميت الذي نهض بنصفه العلوي جالسًا في أحشاء قبره. ستكون هذه وجبة قوطية ممتازة يسيل لها لعاب أي مريض (نيكروفيليا) من دون شك!

ـ "(سليم كامل المهدي).. طبيب شاب مشهود لك بحسن الخلق.. ميسور الحال ولاتزال حياتك الواعدة في مقتبلها، أو هكذا كانت على الأقل! قل لي.. ما الذي يدفع شخص مثلك إلى ارتكاب مثل ما ارتكبته؟؟"

صمت الصوت النابع من اللامكان بعدها، كأنه يحاول قراءة ما سطرته الكلمات على وجهه وحركات جسده، ثم تابع بصوت أكثر غلظةً هذه المرة:

ـ "لماذا قمت بقتل خطيبتك؟؟ لِمَ قتلت (نورهان) يا (سليم)؟؟ ولا داعي للإنكار؛ فقد رآك عاملو المستشفى و...

~ "ومن قال أني سأنكر أمرًا ممتعًا كهذا!!؟"

قالها دون أن يرفع وجهه الناظر نحو الأسفل، فلم يبد منه سوى بعض الظلال المشوهة. لم تهتز نبرة صوته أثناء ذلك، بل على العكس لقد قالها بصوت هادئ غريب كأنه رياح باردة هبت لتثير القشعريرة في نفوس البعض للحظات!

ـ "ماذا تعني بالممتع؟؟ ارو لنا الجريمة بالتفصيل!"

~ "أي تفصيل!؟ لقد قتلت الفتاة التي أحببتها شر قتلة.. هشمت عنقها حتى صار رأسها جاحظ العينين ينظر في الاتجاه الآخر! ألم يخبرك خبراء الطب الشرعي بهذا سلفًا!؟ لا داعي لهذه الألعاب الصبيانية إذن!"

أعقب ذلك بأن رفع رأسه ببطء، كأنه طَلْع جهنم الذي ينبثق من ويلات العذاب، وظهرت عيناه الآن تطلان عليهم من العالم الآخر. كانتا متسعتين عن آخرهما، والشعيرات الدموية المحتقنة تبدو كثعابين تسعى داخلهما تحاول أن تطال السواد في المنتصف؛ ربما لهذا السبب كانت حدقة العين تتحرك تلك الحركة الجنونية في جميع الاتجاهات، حتى ليهيأ لك أنها على وشك الانفجار في نعشها العظمي!!

لمعت أسنانه مبتسمًا ابتسامة مخيفة من زاوية فمه، سرعان ما تحولت إلى ضحكات جنونية عالية، وهو يفتح خديّه بأصابعه إلى أقصى الجانبين حتى كاد وجهه أن يتمزق، صارخًا في ألم هيستيري دون توقف:

~ "إنه يريدكم أيضًا!! إنه يريدكم أيضًا!! إنننننه يريدكمم أيضًاااااا!!!"

ثم اندفع برأسه من الظلام بغتة ليتراجع المحققون إلى الخلف من هول المفاجأة! كانت مقلتاه مقلوبتين إلى الأعلى، فبدت ممسوحة البصر بيضاء تمامًا، وقد تدلى فكه محطمًا بصورة بشعة ليغرق في الزبد والدماء!!

- "أسرعوا!! أمسِكوا به قبل أن..."

ولكن للأسف.. كانوا متأخرين للغاية!!

سوف يقضي خبراء الطب الشرعي ليلة لن ينسوها عندما يرون وجهه مطموس المعالم كقطعة اللحم المفري. امسحوا برك الدماء تلك، وليبحث أحدكم عن مقلته اليسرى.. لايزال صوت ارتطام رأسه المتتالي بحافة الطاولة يطارد عقولهم وآذانهم الوجلة دون رحمة. لقد انتحر الشاب مهشمًا رأسه كما هشم عنق خطيبته من قبل.. هل فعلها انتقامًا من نفسه؟؟ فقط لو يعلموا السر وراء تلك النظرة الخاوية الميتة التي كانت تملأ عينيه وهو يواصل ضرب رأسه، لربما استطاعوا الخلود إلى النوم ليلًا ولو للحظة!

✯✯✯✯✯

- "كان (هيتشكوك) ليصاب بذبحة قلبية إذا ما رأى ما أراه الآن! أهذه مشرحة أم أحد أكواخ سحرة (الفودو) يا (فريد)!؟"

طالعه وجه الرجل الآخر الذي نزع القفازات الطبية عن يديه في حيرة مجيبًا:

= "جميع تلك الأعمال الفنية المميزة من إمضاء هؤلاء الموتى الأحياء الذين خرجوا من شاشاتهم ليعيثوا في الأرض مرحًا كما تلاحظ!"

ثم حك رأسه مكملًا:

= "فقط لو أتمكن من العثور على طرف الخيط الذي يحرك كل هذه الدمى! الأمر يبدو كالبحث عن عثة وسط المقابر. ما الرابط بين كل ذلك في رأيك يا (حسام)؟؟"

همّ بالرد عليه، لكن هاتفه الجوال قد رن مقاطعًا إياه قبلها. كان الاتصال من (عادل)، فأجابه قائلًا في حذر:

ـ ((عادل).. هل من جديد؟؟ يااا إلهي!! أهو محتجزٌ الآن؟؟ حسنًا أنا قادم في الطريق!))

= "أفترض أن أحد أصدقائنا السفاحين قد قام بزيارة جديدة.. هل أنا محق؟؟"

التفت (حسام) إلى أحد الأجساد المسجاة في ثلاجات الموتى، وكانت رأسه مليئة بما يزيد عن الثلاثين مسمارًا:

ـ "هذه المرة حتى السفاحين سيقفون عاجزين عن فهم أي لعنة سوداء تلك التي ألمت بنا!! اعثر على طرف الخيط ذاك بأي ثمن يا (فريد).. اعثر عليه بالله عليك يا رجل!!"

ثم أسرع مغادرًا المشرحة، تاركًا من ورائه أذرع أخطبوطية من الشك والحيرة تعتصر قلب (فريد) في ضراوة.. وربما رجفة من الخوف أيضًا!

رن هاتفه في الطريق معلنًا عن وصول رسالة.. لم يلتفت إليه مركِّزًا البقية المتبقية من خلاياه العصبية خلف عجلة القيادة. وما إن وصل حتى ترك السيارة واثبًا على درجات السلم بأنفاس متلاحقة؛ حينها مد يده نحو جواله ليرى أي رسالة قد وصلته.

عندها ارتفع حاجباه في دهشة قائلًا بعبارة مبتورة: "ما الذي يعنيه هذا بالضـ..."

قبل أن يكمل، اصطدم بـ(عادل) الذي كان قادمًا نحوه تعتريه آيات الارتباك جليةً، ليترجم إياها بقوله:

= "لن تصدق ما حدث! القاتل الجديد.. ذاك الطفل ذو العشر سنوات الذي أحرق عائلته بأكملها.. منذ أن أمسكنا به وهو لا يتوقف عن ترديد عبارة واحدة لا غير.. رغم أنني لا أفهم ماذا تعني!"

قاوم الخاطر المخيف الذي انسل إلى عقله بغتةً، قبل أن يتمكن الخاطر منه في النهاية متسائلًا بحلق جاف:

ـ "تلك الـ... عبارة.. هل يصدف بأي شكل من الأشكال أنها.... (الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل)؟؟"

فغر (عادل) فاهه هاتفًا في دهشة: "ولكن كيف عرفت!؟"

أحس بأنفاسه كأنها مربوطة في ترس صدئ، وتُسحب منه عنوةً كلما دار الترس الثقيل الأبدي.

التفاتة أخرى نحو الهاتف.. لقد صارت قطرات العرق التي تغطي جبهته الآن كلفحة من حر (سقر)!!

✯✯✯✯✯

كان يدعى (شادي)، وكان يبدو كطفل في العاشرة من عمره حقًا؛ إلا أن تلك النظرة الجنونية التي كانت تسكن وراء جفنيه المتسعين والحمراوين كانت أبعد ما يكون عن الأطفال.. وعن البالغين حتى!

لم يضعوه بغرفة (القبر) التي لفظ فيها (سليم) آخر أنفاسه بالطبع، إنما وضعوه في إحدى غرف المستشفى واتخذوا كافة الاحتياطات هذه المرة؛ قاموا بتكبيل أطرافه الأربعة في السرير بإحكام، كما أخرجوا أي أداة حادة

خارج محيط الغرفة؛ لكي لا يتركوا الفرصة لحدوث عرض جديد من عروض القتل الحي المثير للغثيان!

بين لحظة وأخرى كان الطفل يتقوس على ظهره في مشهد يخلع أشد القلوب بأسًا كمن أصيب ببكتيريا (التيتانوس)، وكان يصرخ مكررًا:

"الرجل.. ذو.. الأنف.. الأحمر.. الطويل!!"

كان جسده ينتفض في شدة كأن مسًا سفليًا قد تلبسه، فهرع فريق من الأطباء نحوه محاولين أن يهدئوا من نوبته العنيفة تلك قبل أن يحدث ما لن تُحمد عقباه!

أما (حسام)، فقد وقف يراقب من خارج الغرفة واضعًا كفه على أم رأسه، كأنه يمنع عقله من الانجراف نحو تيارات الهذيان العاتية! تمتم (عادل) دون أن يرفع بصره عن الزجاج مواجهًا انعكاس روحه الباهتة:

= "لقد صار الأمر واضحًا لكننا نرفض الاعتراف به.. بل إننا نخشى السماح لأنفسنا أن تفكر فيه حتى!"

ـ "ما الذي تعنيه؟؟ أنت لا تقصد ما أظنه بالتأكيد!"

= "سلسلة لا تنتهي من جرائم قتل وحشية يغلّفها الغموض.. القتلة يخرفون بعبارات مريبة غير مفهومة.. هذا الطفل ونوباته التي تثير الهلع.. وأخيراً الرسالة التي وصلتك!! لايزال البحث جارياً عن صاحب الرقم المرسل لها، لكني أؤكد لك أنهم لن يجدوا له أثرًا.. أتدري لماذا؟؟ لأن من يفعل ذلك هو الشيطان نفسه!!"

ترددت عبارته الأخيرة في ممرات المستشفى، وقد بدا صداها عميقًا كأنه قادم من وراء الجدران. قطع معزوفة الصمت رنين هاتف (حسام)، الذي صار يخشاه الآن بعد أن صار رسولًا لأنباء الموت فحسب!

ـ (((فريد).. ما الأخبار؟؟ أأنت متأكد؟؟ انتظرني لحظة.. سأتحقق من ذلك!!))

فتح باب الغرفة مسرعًا، وأبعد الأطباء بصورة تنم عن مدى الخطورة التي وصلت إليها الأمور عند هذه النقطة، لا وقت للمجاملات أو الرسميات الآن، لننس ذاك الترف مؤقتًا! اقترب من (شادي) الذي كان يحدق فيه وهو يرفع رأسه عن الوسادة ومن ثم يهوي بها مجددًا بمنتهى العنف؛ يبدو أنه قد دخل في طور (الانتحار الدموي) نفسه كما حدث لـ(سليم)!

أمسك بذراعه المليء بالكدمات والجروح من أثر جذبه للأربطة أثناء نوباته، وأخذ يقلبه بإمعان باحثًا عن شيء ما بعينه وسط تساؤل الجميع من حوله. وفجأة قرّب راحة الفتى من عينيه المشدوهتين هامسًا كمن تم تنويمه مغناطيسيًا:

ـ "مستحيل! لقد كان (فريد) على حق!!"

لم يعطهم الفرصة ليسألوه عما يحدث بحق السماء؛ فقط أمسك بالهاتف مخاطبًا (فريد) في صوت متهدج من الحماس والانفعال معًا:

-((العثور عليه كان صعبًا لكني وجدته في النهاية. وأخيراً أمسكنا بالعثة التي كنا نبحث عنها في قلب المقبرة!!))

التفت إلى (عادل) وهو يتراجع بظهره نحو الدرج في عجلة قائلًا:

ـ "أبقِ جوارحك كلها على الطفل يا (عادل).. أما بخصوص ما قلتَه قبلًا.. فليِّرنا الشيطان ما سيفعله إذن!"

لست خبيراً في تلك الأمور، ولكن... لقد كان هذا أسوأ اختيار ممكن للعبارات!!



وصل إلى المشرحة في زمن قياسي، متلهفًا لرؤية ما أخبره به (فريد). كان الوقت متأخراَ وبالكاد ترى سيارة تعسة تمر في هذا التوقيت من الشتاء، إضافة إلى أن التواجد أمام منزل الموتى ذاك ليس كفيلًا بهروب الناس فقط من أمامك، بل وهروب الدماء من عروقك كذلك!

تقدم من الممر الهادئ تمامًا إلا من صوت خطوات حذائه المكتومة. تلفت حوله باحثًا عن أي شخص متواجد، ولكن لا شيء! فقط أنين الصمت البدائي من حوله، والذي تخلله إيقاع نبضات قلبه المتسارعة كأنها دقات الطبول التي تملكها القبائل الإفريقية المتوحشة. عظيم! هل يمكن أن تصير الليلة أكثر سوءَا!؟

وقبل أن يدرك عقله الأبعاد من حوله، انقطع التيار الكهربائي دون سابق إنذار!!

مهما أوتي الإنسان من شجاعة فإن للظلمة رهبتها! شعورك أنك واقف وسط بحيرة من العمى القهري دون أن تدرك أي كابوس ينتظرك هناك في ركن الغرفة! تكاد أن تجزم أنك قد تركت نور الغرفة الأخرى مضاءَ، فمن الذي أطفأه والجميع نائمين عدا أنت!!؟ التيار الهوائي الذي تشعر به يمر من خلفك في غفوة منك، وذاك الوجه المرعب الذي تفنن الرسام السادي داخل عقلك في رسم ملامحه من أقصى مخاوفك، مصحوباً بالسؤال الأهم الذي يتردد في أذنك: "ماذا لو فتحت عيني الآن؟؟ هل سأتمنى حقًا لو أني لم أفعلها؟؟"

أشعل (حسام) ضوء جواله محركًا إياه في كافة الاتجاهات وهو يصيح مناديًا: "(فريد) أين أنت؟؟ لا وقت للمزاح!"

كان يعرف أنه لا يمزح، ويعرف أن (فريد) لن يرد! ذلك الشعور المقبض في صدره أنبأه بهذا. لكنه واصل المضي نحو غرفة ثلاجات الموتى ووضع قبضته

على مقبض الباب.. لا سبيل للرجوع الآن! تلك القاعدة المزرية باتت معروفة لجميع الحمقى منذ قديم الأزل!

دفع الباب، وخطا إلى الداخل قادحًا زناد أعصابه.

لم يهتم برائحة (الفورمالين) المستخدم في حفظ الموتى على الرغم من أنه أوشك أن يحرق أنفه وعينيه، وسار بين الطاولات بحثًا عن (فريد) على ضوء الجوال الشحيح، ولكن لم يكن له أي أثر!

على شبح الضوء المترامي لمح ما يشبه الجسد متكومًا أسفل ملاءة على إحدى الطاولات، فاقترب منه وقطرات العرق تنساب على الأرض دون توقف. مد أصابعه المتوجسة نحو الملاءة، وهو يتذكر في خياله الحالة المريعة التي كانت عليها جثامين الضحايا، وكيف بدت كمتحف أسود للهول الحي! سوف ينزعها الآن! هل هذا هو الجسد المحترق؟ أم منزوع الأعضاء؟ أم...

وفجأة دوّى رنين هاتفه عاليًا كصراخ حاد مزق قدسية السكون، فانتفض هو في مكانه تاركًا الجوال ليسقط على الأرض ويتفكك إلى عدة أجزاء! وضع يده على صدره لاإراديًا، قبل أن ينحني بحثًا عن جواله وهو يغمغم في غضب: "هاتف غبي!"

"لا داعي للبحث.. لقد أرادوا إخبارك أنني صاحب الهاتف الذي أرسل إليك الرسالة!"

صعقته العبارة التي بدت كأنها قادمة من بئر سحيق، لينتصب شعر عنقه معلنًا أن مؤشر التوجس لديه قد تجاوز الحد المسموح به، وأحس بالبرودة تسري في أطرافه رغمًا عنه، لكنه مد يمناه نحو جراب سلاحه رافعًا الجوال باليد الأخرى، ثم بدأ ينصب قامته ببطء وهو يحرِّك حدقتيه إلى طرفي

عينيه محاولًا التقاط أي ملمح عن ذاك الغريب الواقف في كبد الظلام من خلفه!

وفي جزء من الثانية قفز إلى جانبه، ليدور خلف إحدى الطاولات رافعًا سلاحه ومسلطًا الضوء على الغريب الواقف أمامه.

وانطلقت من حلقه شهقة ملتاعة، وكادت عيناه أن تفقأا نفسيهما من شدة ما رأت، وتحركت شفتاه المرتعشتان قائلتين بصوت مختنق:

ـ "يـــا رب السماوات!! أنت...!!"

كان واقفًا أمامه على بعد عدة أمتار رجل مطموس المعالم، قد صار وجهه كقطعة من الطين السائل المستخدم في النحت، وفكه السفلي متدل على نحو بشع.

لقد كان (سليم)!! أو جثته المتحللة إن شئت الدقة!!

"يجب أن تستمع إلي جيدًا؛ فليس لدينا الكثير من الوقت! صديقك (فريد) بأمان في إحدى الغرف الأخرى، لكنه في حالة أشبه بالنوم في الوقت الحالي.. كنت بحاجة إلى الحديث معك وحدك!"

أنزل سلاحه مترددًا، بينما الرجفة التي تقبع داخل صدره لاتزال تنهشه دون هوادة، ثم تساءل بنظرة شك:

ـ "لقد رأيتك بعيني هاتين تضرب رأسك بالطاولة حتى الموت.. فكيف تقف أمامي الآن!!؟؟ أي خدعة هذه!؟؟"

"من رأيته كان (سليم)، أما أنا فلست هو.. أنا فقط أرتدي جسده على نحو مؤقت!!"

ـ "ترتديه!!؟ اسمع يا هذا.. أنا لا أصدق قصص المس الشيطاني وتلبس الجن للبشر تلك و...

"أنا لستُ شيطانًا ولستُ واحدًا من مردة الجن.. يمكنك القول أننا أبناء مهنة واحدة أنا وأنت! وقد قدمتُ إلى هنا في مهمة محددة"

"أعتذر على استعمال جسد أحد أبناء قومك.. لم أستطع الظهور بشكل مباشر!"

- "ولِمَ لم تفعل ذلك!؟"

نظر نحو الأعلى لبرهة، قبل أن يقول بنبرة غامضة جعلت ذرات الهواء تمتلئ ذعراً من حولهما:

"لم يكن عقلك ليحتمل رؤية هيئتي الحقيقية.. كنت ستصل إلى درجة لا تتخيلها من الجنون.. الحد الذي تفضل معه الانتحار على البقاء حيّاً بعد ما رأيت!!"

أحس برعشة تنتاب ما بين كتفيه من مجرد تصور الفكرة، بينما تابع مرتدي جسد (سليم) متسائلًا:

"الرسالة التي أرسلتها إليك من هاتف (سليم).. هل تذكر نصها؟؟"

- "(الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل).. من الصعب أن تنسى الاسم وصرخات ذاك الطفل ماتزال تترد في أذني"

"لقد هلك.. ابتلع لسانه منذ لحظات ولم يستطيعوا إنقاذه في الوقت المناسب!"

- "مااااذاااا!!؟ أي تخريف هذا.. لقد أخبرت (عادل) أن...

"ستتعلم جيدًا أن القواعد والموانع لا تقف أمامه.. لا أحد يستطيع فعل ذلك.. ولكن كي تصدقني يجب أن أريك شيئًا أولًا!"

شعر (حسام) أن الأرض تُسحب من تحت قدميه، وأن رأسه يكاد أن ينخلع من فوق كتفيه، قبل أن يسمع طنينًا هائلًا جعله يغطي أذنيه في ألم واضح. ثم توقف كل شيء دفعة واحدة كما بدأ من العدم!

فتح عينيه ليرى أين هما بالتحديد، وما إن فعل حتى صاح في (قرين سليم):

- "اللعنة!! لِمَ أحضرتني إلى هذا الـ... الجحيم!؟"

كانوا محلقين في ما يشبه السماء، وإن كانت غارقة في أمواج من النيران المستعرة، والأرض ممتلئة بالجثث المكومة في تلال لا حصر لها. أشار القرين إلى الأسفل متمتمًا بصوت أشد عمقًا من ذي قبل:

"هذه لمحة مما فعله في العوالم التي ذهب إليها سابقًا.. لا أحد يعرف اسمه ولا أحد يعرف أين يعيش ولا كيف جاء ولا كم عدد ضحاياه المستمرين حتى لحظة حديثنا هذه.. لا أحد يعرف عنه أي شيء! جل ما أعرفه هو أن من رأوه يدعونه بـ(الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل).. لقب يزرعه في عقولهم فيرددونه كالعبيد!"

بدأت بعض الأصوات ترد إلى أذني (حسام).. كانت تبدو كأنها معازف شرقية قديمة آلاتها هي الصرخات المحتضرة، وتصنع معًا إيقاعًا يشبه ما قد تسمعه في إحدى الحلقات الصوفية أو عند ممارسة الـ(زار)؛ وشيئًا فشيئًا أحس بالخدر يزحف في جسده، وتلك الألحان المسكرة تجذبه نحوها من دون مقاومة. وهيئ إليه أنه يرى بابًا ذا نقوش غريبة على مرمى البصر، ومن خلفه يقع عالمٌ هو أشبه بالجنة على الأرض!

سار باتجاه الباب بعينين مستسلمتين، وقبل أن يصله بعدة خطوات رأى بالقرب من عتبته جسمًا لامعًا أشبه بالإبرة. الأصوات الصوفية تعلو،

والمعازف تزداد في إيقاعاتها من صرخات لنساء ورجال. وأحس (حسام) أنه لا يرغب في شيء من هذا العالم سوى الإمساك بتلك الإبرة الملقاة هناك!!

سوف يمسكها ومن ثم يعبر إلى تلك الجنة الواقعة خلفها.. لقد صارت تملكه، ولن يحول أي شخص بينه وبين الإمساك بــ...

"هذا يكفي.. لنرحل من هنا!"

عادوا إلى المشرحة في الوقت نفسه الذي استعاد فيه (حسام) رشده، فهز رأسه كأنه ينفض هذا الوهم العجيب عن دماغه، قائلًا في غير تصديق:

ـ "الجنة السحرية التي رأيتها، والإبرة الملقاة على أبوابها.. أكنت أحلم؟؟"

"تلك الإبرة هي التي تسببت في الجرح الدقيق الذي لاحظه (فريد) في راحة يد جثث القتلة المنتحرين جميعهم، وسألك إذا ما كان متواجدًا في يد الطفل أم لا. ستراه في يد (سليم) هنا أيضًا. تلك الإبرة هي الأداة التي يضعها (ذو الأنف الأحمر الطويل) ليغوي بها ضحاياه.. ما إن يلمسوها وتنغرس في أيديهم حتى يرون جزءاَ من صورته الحقيقية في كل مكان ينظرون إليه، وبعدها يبدأ عملية الصيد!"

"يجعل عبيده هؤلاء يقتلون أقرب الناس إلى قلوبهم.. الوالد يقتل أولاده، والمرأة تنحر رجلها! الصديق يلتهم صديقه، والحبيبة تحرق حبيبها! لقد جاء إلى عالمكم البائس لكي يمارس صيده على نطاق أوسع!"

ـ "ما الذي تريد قوله الآن؟؟ أن ذاك الكيان الشيطاني لن يتوقف حتى يفني عالمنا بأكمله؟؟"

"هو ليس شيطانياَ للأسف، كنا لنتمكن من العثور على وسيلة لإيقافه على الأقل.. هذا الكائن هو بمثابة طاعون مميت للعوالم. نحن نتتبعه منذ أمد بعيد، ومهمتي كانت الإتيان بأحد سكان عالمكم لسببين: أولهما: لكي

تعاوننا في بحثنا عن كيفية دراسته لكي نصل في الأخير إلى الطريقة المثلى للقضاء عليه. وثانيهما: لكي نحافظ على جنسكم من الانقراض!"

ـ "كفى هراءَا!! لقد اكتفيت من هذا الهذيان الفج!! بإمكانك الذهاب لممارسة شعوذتك هذه بعيدًا عن هنا.. أما أنا فسأعثر على ذاك القاتل وألقي به في غياهب السجن!"

"فكر مليًا.. إذا لم تأتِ معي فسوف أرحل نهائيًا بحثًا عن شخص آخر.. أنت لا تدرك فداحة ما تفعله!!"

صوّب (حسام) فوهة سلاحه ناحية جثة (سليم) ضاغطًا على حروفه:

ـ "إذن فلترحل نهائيًا.. وحالًا!!"

ظلت الجثة جامدة مكانها للحظات، ثم انهارت على الأرض بعدها كأن رياحًا قد أسقطتها على نحو مفاجئ، فاتجه (حسام) نحوها في حذر متأكدًا من أنها أمست خاليةً من أي حياة. حينها زفر في ارتياح قائلًا:

ـ "جثة تتحرك، ورجل ذو أنف أحمر وآخر ذو أنف أخضر.. هذه هي المرة الأخيرة التي آتي فيها إلى المشرحة وحدي؛ لكي لا أصاب بمزيد من الهلاوس.. لو رآني (عادل) لسخر مني حتى يسقط على ظهره!"

أغلق الباب مغادرًا غرفة حفظ الموتى، ليقصد الغرفة المجاورة التي كان ينام فيها (فريد). ها هي لقد عثر عليها أخيرًا!

فتح الباب مناديًا:

ـ " (فريــد).. أين أنت يا رجل؟؟ كفاك نومًا!!"

لكن الغرفة كانت خاليةً تمامًا! فأدار الجوال -الذي أوشكت بطاريته على النفاذ- في أنحائها بحثًا عنه، وانشغل في فعل ذلك إلى درجة أنه لم يلاحظ أن باب الغرفة كان يُغلق من خلفه ببطء.

انشغل إلى درجة أنه لم يشعر بتلك الحركة الخفيفة وراء ظهره قادمة من وسط ظلام الغرفة، أو بذاك الزوج من العيون الحمراء المتسعة التي اقتربت منه اقترابًا جنونيًا وبسعي حثيث.

عندما اكتشف الأمر كان متأخرًا للغاية.. كان أحمقَ للغاية!!

لم يستغرق الأمر من (فريد) سوى عشر ضربات فقط بهراوة تحطيم العظام!!

من الجيد أن تكون متواجدًا في المشرحة عندما تصطاد لـ(الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل)؛ فلديك كل الأدوات التي تحتاج إليها هنا.

صوت قطرات الدماء الرتيب يشعره بالجوع أكثر.. يتقدم منه دون أن يعبأ بالزبد المنهمر من شدقيه. صوت تمزيق الأوصال.. ثمة أحد ما يُقطّع الآن في مكان ما من الغرفة.

(الصديق يلتهم صديقه، والحبيبة تحرق حبيبها!).. لقد كانت كلماته التحذيرية واضحة لكنك لم تفهمها.

لهذا أكره الأشخاص عديمي البصيرة؛ دائمًا ما تكون عاقبتهم سيئة.. سيئة إلى حد فادح!!!

▬ ■ ▬

مدينة الأنذال□

في مدينة الأنذال، كانت كل صالات العزاء تسجل حضور مُعَزٍّ واحد فقط.. حتى ذات ليلة كئيبة، كان عزاءٌ لم يحضره أي أحد، ولم يحضر أي عزاء من بعده أحد.

تطيّر أهل المدينة كلهم من صاحب ذاك العزاء، وصاروا يتشاءمون من مجرد ذكر اسمه.

اندفاع!

ـ "نحن هالكون!"

قلتها في سعادة غامرة وأنا أتكئ بظهري إلى جانب إخوتي الذين حدقوا فيّ بدهشة لثوان غير مصدقين، قبل أن ينفث أحدهم الدخان مؤكدا:

= "بلى يا أعزائي.. يسعدني أن أخبركم أنها النهاية حقا!"

ولم تلبث بذرات الضحكات المحتبسة داخل صدورنا أن تبرعمت، لننفجر ضاحكين معًا دون هوادة.

من كان يظن أنها ستأتي أخيرا!؟ لطالما كانت لحظة الهلاك حلمًا يراودنا مع كل شمس مرت فوق رؤوسنا.. الهلاك الذي حكى لنا عنه أباؤنا منذ الصغر ونحن مجتمعون حول الزهرة الملتهبة تبثنا الحرارة والحماس في آن واحد!

جميعنا ضحكنا باستثناء أختي، فالتفتُّ ناحيتها لأجدها عابسة الوجه قليلا تجاهد نفسها كي لا تنفلت منها الكلمات. أرحتها من ذاك الصراع المعتمل في داخلها وقلت:

ـ "هل من شيء يعكر صفو تلك اللحظة الساحرة لديك يا عزيزتي؟؟"

همت بقول شيء ما، ولكنها أجهضت الكلمة قبل أن تولد مشيحةً بوجهها عني. ما الذي دهاها الآن!؟

= "إنها لا تريد الرحيل تاركةً (زياد).. هذا ما في الأمر!"

شعرت بتيار من الهواء الساخن يسري بداخلي وأنا أستمع إلى عبارة أخي المغتاظة.

ـ "هل هذا صحيح؟؟"

كان لابد وأن تحين اللحظة التي سينهار فيها جدار المقاومة لديها.. أختنا الرقيقة.. ليست مؤهلة لكل هذا الضغط!

~ "ر... ربما.. لم أعد واثقة مما أريده..!"

لقد بدأ الشرخ، والآن ستأتي تبعات الزلزال!

~ "لقد كنتُ أنتظر الهلاك أكثر من أي شيء.. لطالما كان تلك القطعة التي أكملت الفراغ في داخلي، ولم أتصور أن يزاحم ذاك الحلم أحد آخر، إلى أن ظهر (زياد).. إنه ليس كأي شخص.. لم يكمل الفراغ بداخلي فقط.. لقد امتد إلى أن صار عالمي بأكمله!"

نفث أخي المزيد من الدخان في ضيق وهو يغمغم من بين شفتيه:

= "مممممف.. فتيات!!"

رمقته بنظرة غاضبة كي يصمت، بينما قال أخي الآخر وهو يكاد يجن من سعادته: "إننا نقترب!! لقد سمعت الصوت المميز للموت!"

حينها أخذتُ نفسا عميقا كمن يحاول أن يدفن أخاديد الصيف المستعرة أسفل عباءة من الشتاء القارس، وقلت وقد بدأ بعض الإشفاق يتسلل إلى داخلي:

- "(زياد) شاب طيب أنا أعلم ذلك.. لكن تلك اللحظة كانت ستأتي عاجلا أم آجلا.. جميعنا كنا ندرك هذا.. لا أريد أن يكون آخر شيء أراه في هذا العالم هو الحزن على وجه أختي الصغيرة.. إنه عالم موبوء بما فيه الكفاية فلا تزيديه أنّاتًا فوق أنّاته"

نظر أخي إلى الأمام هاتفا ليعيدنا إلى أرض الواقع: "لقد حان الوقت!! سوف أذهب أنا أولا ومن ثم اتبعوني"

انطلق بعدها في لمح البصر، ليكون آخر ما نراه هو دخانه الذي نفثه كعادته!

~ "أخي.. أنا..."

قالتها وجسدها يرتعش كعصفور في قلب العاصفة، فابتسمتُ لها ابتسامة عريضة لست أدري أكانت لتطمئنها هي أم لتطمئنني أنا، قبل أن أختمها بقولي:

ـ "لا تقلقي.. سوف نرى (زياد) مرة أخرى.. أعدك بذلك"

ابتسمت بدورها، لتترك الشمس تعود إلى عالمنا مجددا للحظات، قبل أن تومئ والثقة ترتسم فوق لوحة وجهها مجيبة:

~ "لننطلق إذن.. نحو الموت يا إخوتي!"

عندها سمع الجميع صوت الموت المميز يعزف ألحانه في أجسادنا.. لم ندرِ أكانت تلك لحظة الهلاك أم لحظة الميلاد.. لقد أبخسها أبي حقها في الوصف؛ فقد كانت أروع من أن يحتويها أي إناء، سواء إناء منطوق تتقاذفه الأفواه أو إناء مسطور تقرأه الأعين.

وفي آخر ثوان لي في هذا الكون، نظرت إلى جواري لأرى إخوتي كلٌ ممدد في موضع مختلف من حولي.. تجاهلت تلك الأنهار القانية التي كانت تتفجر في وجهي، وأنا أبحث بين الوجوه عن وجه الشاب الذي صحبنا طوال رحلتنا تلك.. أين هو؟؟ آه.. ها هو ذا!

(زياد)..

متلفحا في قماشته التي عهدناه بها دوما.. اللونان النافران منها كعروق في عنق شامخ للمجد.

الأبيض يحتضن الأسود!

ـ "ألم أقل لك أننا سنلتقيه مجددا أختي؟؟ هو أيضا يبدو سعيدًا"

ومع مغيب النور عن خلاياي، سمعت صوتا منكسرا يتمتم ببغض من فوقي:

"ذاك الشيطان!! لا أدري كيف استطاع التسلل بيننا بهذه السهولة!! لقد أسقط أربعة من رجالنا قبل أن نتمكن منه!"

"اللعنة!! هل تبقى لديه أي رصاصات في سلاحه؟؟"

ابتسمت وأنا أشم نسائم الموت تحلق من حولي.. نسائم الانتفاض والارتقاء.

كلا أيها الأوغاد، لم يتبق لديه أي رصاصة؛ فقد أطلقنا جميعا أنا وإخوتي.. نحو الرؤوس.. ونحو هلاكنا الخالد!!



رنين

بخطوات تحفظ طريقها عن ظهر قلب، تنقل بخفة بين المساحات الفارغة في العشب دون أن يدهس عودًا واحدًا.

يدندن بأغنية مرحة تلهيه عن آلام عضلاته الصغيرة بعد يوم عمل شاق، ويغير من إيقاع خطواته باستمرار؛ فقط لتسلية ساقيه الصارختين بطلب الراحة ولو قليلًا.

على مرمى البصر رأى المطعم الشعبي المعتاد، فاخترق المنظر عينيه قبل أن تصل الرائحة الشهية إلى أنفه.

تحسس جيب بنطاله المهترئ في رجاء، فسمع الرنين الخافت للعملات المعدنية داخله. ابتسم.. لقد تبقى له جزء اليوم.

دس يده في جيبه فالتقط العملات.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة. لديه كنز اليوم!

وزّع العملات على جيوب بنطاله الأربع، زفر في توتر، ثم تحرك ناحية المطعم بخطوات متباطئة.

توقف أمام صانع الشطائر في المحل، وطلب ثلاث شطائر من أرخص الأصناف.

شرع الرجل يُعِد الشطائر في سرعة ماهرة، ثم لفّها ومدها إلى الصغير بيد تمتد أختها على التوازي مطالبة بالحساب.

وضع يده في جيبه ليخرج النقود، ثم سحبها ليدخل الأخرى في الجيب الآخر، قبل أن تعلو الحيرة وجهه، ويشرع في البحث في جيوبه كلها ملتاعًا، بينما البائع يرمقه بنظرات جامدة، ويهز يديه في تململ.

أخيراً، سحب يديه من جيوبه ناكسًا رأسه بأسى، ثم رفع عينين كسيرتين إلى البائع قائلًا:

"أنا آسف يا عمو.. ممكن آخد السندوتشات وأجيبلك الفلوس كمان شوية؟؟"

ظل الرجل يحدجه بنظرات متشككة قادرة على ثقب عينيه المرتجفتين، ثم زفر حانقًا، وناوله الشطائر مديراً وجهه عنه في غير رضا عن فعلته.

تناول الشطائر بانكسار، ثم تحرك خارجًا بخطوات بطيئة، ظلت على بطئها حتى ابتعد بمسافة كافية، ثم تسارعت مهرولة متنقلة بين الشوارع، حتى وصل إلى ملاذه أخيراً.

استلقى بجسده بين الأعشاب الخضراء بخفة، ورفع عينيه متطلعًا إلى السماء شاردًا في ملامحها لدقائق، تحسس جيوبه مطمئنًا لوجود كل عملة في مخبئها. ثم اعتدل مستندًا على شجرة شابة، وأخرج وليمته الشهية، ليشرع في التهامها بلهفة لكن ببطء.. هو لن يدع لحظات عظيمة كهذه تمر سريعًا.

انتهى من وليمته الشهية، وتحسس بطنه برضا، ثم جمع بواقي الطعام في مُغلّفه وألقاها في حاوية قمامة قريبة.

التقط العملات من جيوبه بخفة معيدًا تجميعها في الجيب الأول، ثم زفر باسمًا، وربت على جنبيه يشجعهما على تحمل ما سيقوم به الآن، قبل أن ينطلق راكضًا بكل قوة.

عضلاته تئن، وساقاه تصرخان، لكنه يواصل الركض بلا إبطاء.

وحين وصل إلى المطعم، كان يلهث بعنف شديد، جعل البائع والعاملين يحدقون فيه بفزع.

مد يده إلى جيبه فأخرج ثلاثة من العملات الأربع، ومد يده يناولها إلى صانع الشطائر قائلًا:

"أنا آسف يا عمو اتأخرت عليك"

ظل صانع الشطائر على تحديقه المذهول لثوان، قبل أن يلتقط منه العملات قائلًا بإشفاق:

"مكانش لازم بسرعة كده يابني!"

ابتسم ابتسامة مجهدة وقال:

"معلش بأة"

ثم تحرك خارجًا من المطعم تتابعه العيون المشدوهة.

✬✬✬✬✬

بخطوات تحفظ طريقها عن ظهر قلب، تنقل بخفة بين المساحات الفارغة في العشب دون أن يدهس عودًا واحدًا.

سدد بصره مباشرةً نحو المطعم الذي صار محطة يومية، وابتسمت معدته فَرِحة بأزوف مكافئتها الشهية.

تحسس جيب بنطاله المهترئ في رجاء.. لا رنين اليوم!

زفر مشجعًا نفسه، ثم تحرك بخطوات ثابتة نحو المطعم.

رآه صانع الشطائر مقبلًا، فرفع يده محيياً، وشرع يُعِد الشطائر الثلاث بحماس.

ارسميني..
ضحكة طالعة من جفونك
جوة عالم كان كئيب
شيء غريب
إني رغم الحزن كله
لمّا أشوفك يا حبيبتي
كل جرحي أوام.. يطيب
واكتبيني
كلمة جوة كتاب حياتك
مهما عدًّا ما تتنسيش
ماتخافيش
كل ذكرى معاكِ ليها
جوة قلبي فصول حاكيها
من سطور..
ما بتنمحيش

صانع المطر□

سألني أحدهم ذات مرة: "أنت تُحب الشِتاء أليس كذلك؟؟ أعني.. لطالما كنتَ تتحدث عن حبك للمطر في كل مناسبة"

نظرت إليه مليَا كأنني أستجمع الشتات الذي بعثرته حصاته الملقاة في بحيرتي الروحية، قبل أن أزفر بالإجابة باردةً كأنفاسي الشتوية:

"الشتاء يذكِّرني دومًا بقصة (صانع المطر) التي اعتدت أن أسمعها في طفولتي.. كانوا يقولون أن الشتاء يصنع الأمطار داخل ماكينة عملاقة فوق السحاب، يملأها بضحكات الناس المتناثرة طوال العام، ثم يدمجها ليصنع منها القطرات السماوية التي تهطل بالسعادة فوق رؤوس الناس. لذلك ترى المتحابين يرقصون أسفلها، والأطفال يعدون محتضنين إياها بأكُفٍ ممتلئة بالدهشة والفضول. قصةٌ رائعةٌ كما ترى، تستحق أن تُنقش فوق قوس المطر، أليس كذلك؟"

لم أنتظر رده الذي كنت أعرفه سلفًا، فقط تابعت قولي:

"ولكن كان هذا في الأيام الخوالي. ما يفعله الشتاء الآن حين

يحل ضيفًا على أوردتي هو أن يمد أنامله الزرقاء المتجمدة داخل أكثر حجرات عقلي سريةً، والتي حرصت أن أبقيها مغلقةً بأقفال النسيان والإنكار، فينزعها عني واضعًا إياها في آلة المطر خاصته، ومن ثم يبدأ في تكديسها الواحدة تلو الأخرى.. الذكرى تعصف بالذكرى، والمشاهد تتساقط متكسرةً فوق شطآن الكلمات، فوق آخر صخرة من صخرات العهود التي اعتدت سماعها كل شتاء. ثم يسكب طوفانه داخل قطرات المطر كمن يسكب السم في كاساته.. تهوي القطرات فوق رأسي كأنها سهام الردى قادمةً غاضبةً نحوي.

أرى الأمطار لكنني لا أرى رقصات المحبين من حولي.. أركض أسفلها ولكن ليس بروح الطفل الذي يفرد ذراعيه محاولًا الطيران؛ وإنما أركض خوفًا من أن تمسني الذكريات.. أهرب من السماء التي أطبقت على عنقي بآلاف القبضات.. بآلاف القطرات! يأتيني طيف الشتاء الآن فأركض منه بحثًا عن المظلة التي قد تقيني من جحيم الذكريات يا صديقي.. ولكن لا أزال لم أعثر على حاملة تلك المظلة إلى لحظتنا هذه.. لا أزال طريدًا تلحقني اللعنات. لهذا، وحتى تأذن الأقدار وترسل لي حاملة المظلة.. أنا مستمر بالركض وحسب!

▬ ▪ ▬

فانتازيا الحياة

"الرجل الذي لا يكتفي بامرأة واحدة.. لن يكتفي أبدًا"

****

"النسيان نعمة!

نظل لا نريد الاقتناع بذلك حتى نحتاج إليه حقًا"

****

"ما فائدة الأرجوحة إذا لم يكن هناك من يدفعك!؟"

****

"استعدادنا الكامل للتضحية من أجل أحبابنا، ورفضنا الكامل لفكرة تضحيتهم من أجلنا في ذات الوقت؛ هو في الواقع نوع نبيل من الأنانية"

****

"عندما نفقد الدافع، نفقد كل شيء"

****

"النفس القادرة على بث اليأس في النفوس، قادرة على بث الأمل فيها.. فقط أنت تختار"

* * * *

"إن الواقع أكثر وقاحة وغرابة من الخيال بكثير، لذلك قد نبدو في منتهى الكذب عندما نكون في منتهى الصدق"

* * * *

"من قال أن فاقد الشيء بالضرورة لا يعطيه!؟ المهرج البائس يرسم البسمة على وجوه الملايين"

* * * *

"الرجل الذي يلعب بذيله.. بالتأكيد يملك واحدًا!"

* * * *

"إذا كنتم لا تواجهون أدنى صعوبة في الخطأ في حقي، وتواجهون صعوبات عدة في الاعتذار لي، فهذه حقًا مشكلة كبيرة!"

* * * *

الصديق الحقيقي ليس مجرد من لا يتخلى عنك حين لا يحتاجك.

بل هو من لا يتخلى عنك حين يحتاج إلى التخلي عنك!

ما لم تخبرنا به السماء

لا أعلم كم الوقت الآن.. وهل مضى الليل وحلَّ الصباح الإلهي الدافئ أم أن الظلام لايزال ينشب براثنه في السماء كما نشبها في النفوس.. لذلك أستمحيك عذرًا إذا لم أقل في خاتمة مطويتي (أتمنى لك يومًا طيبًا) كما يفعل السادة المحترمون والوجهاء عادةً؛ فقد نسيت كيف يكون اليوم، وما معنى الطيب من الأساس!

لم أكتب هذا الكلام كي أصدع رأسك؛ فأنا لا أكِنّ لك في قلبي سوى الحب والحب فحسب.. ستستغرب كيف يحبك شخص لم يرك ولم تره من قبل، بل هو حتى لا يعرف من هذا الذي سيجد مطويته لكي يحبه، أو هل سيجيء اليوم الذي تقع كلماته تلك في يد من يقرأها حقًا، أم أنها ستصير غبارًا تتناثره الرياح كأمنية قديمة لهندي أحمر تهامس بها للنيران قبل الرحيل.. لكن طعم الهواء الفاسد الذي يملأ صدري الآن محملًا برائحة دماء من سبقوني تجعلني أرغب في الهروب بنفسي قليلًا من هذا القبر الحي، حتى وإن كان ذلك من أجل لحظة بكاء شاحبة.. لهذا أنا أحبك؛ لأنك كيان من خارج حدود هذا المكان.. لأنك الملاذ الذي أزود بعقلي إليه في تلك الثانية بعينها!

المرة التالية التي سيفتحون الباب فيها ستكون بمثابة الناقوس الجنائزي الذي يُقرع معلنًا انتهائي، ومعلنًا كذلك إسدال الستار نهائيًا على السر!

(سولومون)، (نوا)، (جايكوب) وبقية الرفاق.. آسف يا إخوتي.. أنا حقًا آسف.. لقد خذلتكم جميعًا!

اليوم يكون قد مضى ثلاثة أعوام منذ أن اكتشفنا ذاك السر الذي أطاح بمسار حياتنا إلى الأبد؛ فلم نعد إلى ما كنا عليه قبل معرفته مجددًا. ثلاثة عشر رجلًا.. كان هذا عددنا والآن أنا آخر فرد متبق على قيد الحياة منهم، ولاتزال القشعريرة تنهش مؤخرة عنقي وأوصالي كلما تبادر السر إلى ذهني.

المشاهد التي تتواتر إلى ذهني عن حياتي تبدو كأنها لا شيء حين أقارنها بذكرياتي عن الأمر.. جائعين وعراة أسفل لدغات المطر.. ركضنا كمجموعة من الخراف الشاردة، لا يحمل كلٌ منا طاقة تُحرِك ساقيه سوى صورة السيد (هيجز) ممسكًا بسوطه الممتلئ ببقايا جلودنا ودمائنا العالقة فيه.. لا نريد العودة إلى مزارع القطن مرة أخرى.. لا نريد العودة إلى أسمال العبودية من جديد!

قبل أن نغادر حدود المقاطعة حتى كان قد سقط منّا أربعة.. لم نجد الوقت الكافي لدفنهم وتكريمهم بالطريقة اللائقة.. فليسامحنا الرب! لكننا أخيراَ استطعنا الفرار إلى خارج (لويزيانا) ومن ثم إلى خارج البلاد تمامًا، مارين بأقسى مما قد يتحمله أي مخلوق.. ولكن ليس هذا موضوعنا هنا؛ فموضوعنا أكثر قسوة من أي شيء آخر!!

في نهاية رحلتنا المضنية، وعندما صارت أرواحنا مثخنة بجروحها، أتتنا مسحة من يد القدر كي تلطِّف من آلامنا؛ فقد اصطحَبنا رجل آسيوي في طريقه إلى قريته، وكانت هذه هي المرة الأولى لي التي أرى فيها واحدًا من أبناء القارة الصفراء.. ربما لهذا السبب كنت أتعامل معه بحذر زائد، أو ربما لأنني قد نسيت معنى الثقة في الناس، وكفرت بوجود أشخاص لاتزال وجوههم تحمل الابتسامة فوقها منذ أمد بعيد.. لكن (جايكوب) كان دائمًا ما يهوِّن عليّ ويخبرني أن الأحوال لابد لها من أن تتبدل.. ويذكِّرني بتلك اليرقات التي كنا نراها تنبت من شرنقتها بإصرار لتصبح أزهى الفراشات

سالبةً عقولنا مع خفقات أجنحتها الساحرة.. لقد كان (جايكوب) أكثرنا شجاعةً وتهوراً بعض الشيء.

وأحيانًا، أكثر من اللازم!

لم يمض على مكوثنا بالقرية سوى بضعة أيام حتى اختفى (جايكوب) بعدها ولم يعد إلينا وقت الغروب كما يفعل.. بحثنا عنه طويلًا دون جدوى، وكان آخر شخصٍ قد رآه هو راعي أغنام مسن يقول أنه شاهد أحد (السود طويلي القامة) متجهًا صوب الجبال. (جايكوب) الأحمق! ما الذي يظن نفسه فاعله بتركنا هكذا!!؟

أسمع أصواتهم يقتربون! يبدو أن العد التنازلي لمقابلة إخوتي في العالم الآخر قد شارف على الوصول إلى الصفر.. سأختصر في الأمر إذن!

ظهرت بادرة أمل في الأخير.. أخبرتنا بالموقع الذي كان فيه فتاة من فتيات القرية يبدو أنه قد أحبها وكانا يلتقيان سراَ في مجاهل الجبال؛ لأن القرية لم تكن لتسمح لمثل هكذا أمر أن يحدث. وبعد أن ذهبنا إلى هناك معتمدين على مهارة (سولومون) في تقفي الأثر، استطعنا أن نعثر عليه بعد أن سلكنا عدداً من الطرق المتشعبة داخل الكهوف، أجزم أنها تعدت الخمسة عشر طريقًا!

وجدنا (جايكوب)، لكن الأهم أننا وجدنا السر أيضًا!

السر الذي أخفوه عنّا لسنوات بل لقرون سحيقة.. السر الذي كانت تتناقله الحشرات فيما بينها، ويسلمونه من جيل إلى جيل كي لا ينساه أحد منهم، فتعلو به الطير في آفاقها، تاركةً إياه ليتساقط مع قطرات السحاب فوق رؤوس الوحوش والدواب، والذي تطبعه الرياح فوق وريقات الأشجار كلمّا

هبت من خلالهم.. لقد كان السر بيننا طوال هذا الوقت، ولكننا كنّا أجهل من أن نلحظه بشكل مثير للحنق إلى حد الرغبة في الموت!

لم يريدوا لنا أن نعرف الحقيقة رغم أنها كانت مرتسمة فوق الوجوه.. قد تبدو غامضة في البداية تتموج لأعيننا حين ننظر إليها كما تظهر صورة الناظر إلى صفحة الماء بعد أن يلقي أحدهم بالحجر فيها، لكنها سرعان ما تستكين بعد ذلك لتتبدا ملامحها رويدًا، وتكشف السر الذي تخبئه أسفل سطحها الهادئ!

لقد أنصتنا بآذان ملتاعة إلى صوت الحقيقة المختنق، ورأينا في تلك الليلة ما ابتلعته الأرض داخل جوفها لمئات السنين.

الحديث الأخير الذي لم تخبرنا به السماء هو.....

☆☆☆☆☆

"هذا كل شيء.. ما رأيك بروفيسور(ستون)؟؟"

قالها مشبكًا أصابع يديه في بعضهما، وهو يتفرس في وجه الرجل الجالس وراء مكتبه ناظراَ نحو تمثال أثري قديم. امتدت خيوط الصمت طويلًا حتى شعر أن العنكبوت المسؤول عن نسجها لن يتوقف مطلقًا، فتنحنح هامًّا بأن يقطعه هو، لكن البروفيسور عدّل نظارته فوق أنفه قائلًا في شيء من الضجر:

"لقد كان عرضًا ممتعًا للغاية سيد (هال)، لكن المؤسف فيه أن مقدار اقترابه من الحقيقة هو كمقدار اقتناعي أن أقتني جروًا لطيفًا.. صفر واقف على أرضية متهدمة ستهوي به إلى المالانهاية السالبة!"

ثم أخرج قطعة من التبغ من صندوق أمامه واضعًا إياها داخل غليونه، و(هال) يشير بورقةٍ بدت متهالكةً الحد الذي جعله يحفظها داخل كيس بلاستيكي، قبل أن يتساءل:

"أتعني أن ما عثرت عليه كان محض هراء!؟؟ لقد كانت الورقة موضوعةً داخل صندوق قديم! كيف لهذا الصندوق أن يأتي خلف جدار في قبو منزل عائلتي إذن!!؟؟"

"لم أقل أن المطوية محض هراء؛ فبالطبع هي مطوية قديمة أرجِّح أنها تعود إلى فترة الأربعينيات من القرن التاسع عشر.. تلك الفترة المظلمة من تاريخ أمتنا والتي كانت العبودية فيها لاتزال قائمة بصورةٍ فجة.. لابد وأن منزل عائلتك القديم كان يعود إلى أحد تجار (النخاسة) قبل أن ينتقل إلى ملكية جدك.. ومن كتب هذه المطوية هو واحد من هؤلاء (الأفرو-أمريكان) الذين كانوا عبيدًا"

ثم زفر الدخان تدريجيًا محاولًا الاحتفاظ به لأكبر فترة ممكنة، وهو يتابع مغمغمًا والغليون بين شفتيه:

"لكن دعنا لا ننسى أن هؤلاء المساكين كانوا يرون الجحيم ذاته على الأرض! لابد وأن هذا قد ترك أثره في عقولهم ونفوسهم؛ فمن الواضح أن كاتب هذه المطوية على سبيل المثال، كان يعاني من حالة متقدمة من (السكيزوفرينيا)، والتي أدت إلى توهمه لتلك الهلاوس والضلالات عن السر الخطير الذي لا يعلمه أحد غيره. ربما نبع ذلك من الاضطهاد الشديد الذي عانى منه خلال فترة عبوديته.. لا تنسَ أنه قد ذكر بنفسه أنه فقد الثقة بالناس، أي أن الأمر لا يخلو من احتمالية حدوث (بارانويا) أيضًا!"

أرجع (هال) ظهره إلى الوراء واضعًا ساقًا فوق الأخرى، ولم يكد يفعلها حتى أعقب ذلك بأن أنزلها مرة ثانية في عصبية، وهو يضع يديه فوق مقدمة رأسه قائلًا في تعجب:

"الوغد! لقد جعلني أظن أن الأمر جلل، وبتُّ ليال طويلة من دون نوم حتى قررت أن آتي إليك؛ لأنك الوحيد الذي سيعرف ما معنى كل هذا.. آآآه أشعر بالغباء الآن حقًّا!!"

"لا بأس ببعض الغباء أحيانًا (هال).. لو ظللنا نظن أننا أذكياء طيلة الوقت فكيف سنأتي إلى المرحلة التي ننتقل فيها إلى المستوى التالي!؟ سنظل معتدين بأنفسنا وما نحن عليه وحسب!"

نهض (هال) من على الكرسي مربتًا على رأس التمثال، قبل أن يصافح (ستون) مبتسمًا:

"حسنًا.. يجب أن أعود إلى المنزل الآن لأتابع أعمال الهدم التي توقفت.. سوف أبني منتجعًا ليحل محل المنزل القديم.. فقط أتمنى أن يبقى شبح ذاك الرجل بعيدًا عن رواد المنتجع ههههه!"

اصطحبه (ستون) إلى الباب مشيراً إلى الورقة التي وضعها فوق أحد الأرفف في مكتبته مداعبًا:

"لنرى أولًا من كان شبحك هذا، وبعدها نقرر إن كان سيطاردك هو أم أنني من سيفعل!"

خفتت ضحكات (هال) بينما كان يبتعد بسيارته عن قصر البروفيسور. أما (ستون)، فقد سار في هدوء متجهًا نحو غرفة مكتبه، سحب المطوية من فوق الرف بحرص، ثم جلس فوق مقعده في ظلام دامس إلا من بقعة صغيرة من الضوء ألقاها مصباح صغير فوق المكتب في استحياء.

مد يده نحو أحد الأدراج وأخرج منه قنينة محكمة الإغلاق، غمس قطعة من القطن داخل فمها، ثم بدأ يحرِّك القطنة بعناية فائقة فوق أطراف المطوية وظهرها!

كرر العملية أكثر من مرة وعيناه تنظران في ترقب نحو الورقة، وقد بدت النظارة كأنها تخبئ خلفها شعلتين من النيران من أثر انعكاس الضوء الأحمر عليها.

وفي لحظة بعينها تحول اللهب إلى حقيقة، مع تلك اللمعة القوية التي اتسعت لتطغى على كل أنحاء مقلتيه، وشفتاه تهمسان بابتسامة واثقة:

"كما توقعت.. الحبر السري الصيني!"

ثم اقترب برأسه أكثر، وهو يضع المطوية أسفل المصباح مباشرة؛ لكي يقرأ تلك الكلمات التي بدأت تنبض من شرايين الورقة كأنه السحر.. وفجأة، رفع وجهه الشاحب عن المطوية والحيرة قد ألقت بمرساتها فوق معالمه جليةً ومخيفة في الآن ذاته!

عاد يتأكد مما يراه أمامه، قبل أن يبتلع ريقه وينهض من على مكتبه في سرعة، وهو يتقافز في خطواته حينًا، ويحاول التقاط أنفاسه المتسارعة كأنها تعزف لحن انتحاره أحيانًا أخرى.

أضاء نور الغرفة متجهًا نحو الهاتف الموضوع فوق الطاولة المجاورة للمكتب، مرر أصابعه فوق الأزرار وهو يعدّل من نظارته المتدلية فوق أنفه، ثم انتظر مستمعًا إلى صوت الرنين الذي لم يكن بأعلى من أصوات دقات قلبه. أخيراَ أتاه صوتٌ من الجانب الآخر فهتف هو:

"(بيل)! أنصت إليّ جيدًا كأن أذنيك قد خُلقتا للتو.. أريدك أن تحجز تذكرتين إلى (لندن) لكلينا.. لقد اكتشفت للتو السر الذي سيقلب العالم

بأسره رأسًا على عقب.. الأمر مرعب (بيل) ولن نقدر على تحمله وحدنا، لذلك نحن بحاجة إلى بعض المساعدة.. وأنا أعرف الشخص الوحيد في الكون القادر على هذا!"

ثم أغلق السماعة ملتفتًا نحو المطوية كمن مسه مس من الشياطين.. المطوية التي كان مرسوم على ظهرها الآن ما يشبه الخريطة، ومكتوب أسفلها بلون أحمر قان كالدماء عبارةً واحدة.

"نحن لسنا من كنا نظن.. أنا وأنت لسنا البشر الحقيقيين!!"

البحيرة المتجمدة

بينما المجموعة تلتقط الصور التذكارية استعدادًا للرحيل، إذ سقطت (ماري) الرقيقة في البحيرة المتجمدة. بسرعته المعهودة بادر (جان بيل) بالقفز على حافة البحيرة ممسكًا بيدها محاولًا رفعها إلى الأمان من جديد، لكنها كانت أثقل مما توقع. لحظات طويلة من المحاولة الفاشلة مرت، حتى كاد اليأس يتمكن من الجميع، لولا أن استطاع (جان) بمعجزة ما رفعها وسحبها إلى الأمان أخيراً، لتبدأ إجراءات التدفئة والتهنئة على التوازي. وربح (جان) يومها أكثر من لقب (البطل).

رغم ذلك عادت الرحلة ناقصةً فردًا! لم يجد أحد (أندي) الخجول في أي مكان، ولم يعرف أحد حتى متى اختفى بالضبط. عثر الصيادون على جثته المتجمدة في البحيرة بعدها بأعوام، وكان ذلك أثناء احتفال (جان) و(ماري) بمولودهما الأول.

يا سـمـــاء العمـــر إني

قـد أشـابتني الظروف

تحجبين البـــدر عـنـي

خلف أستار الخسـوف

أيــن ذاك الوعـــد أني

في الصبا دوما أطوف!؟

هل سئمتِ اليوم مني؟

أم تكسرت الحـروف!؟

□□

دفعة صغيرة

"كم هو أمر سهل أن تُنهي حياة إنسان!"

هذا ما جال بخاطري وأنا أتطلع إلى الشاب الواقف على حافة باب القطار المفتوح، والذي تفصلني عنه مسافة تزيد بملليمترات قليلة عن المسافة التي تفصله عن الموت.

القطار يسابق الريح، وهو واقف يتطلع إلى الطريق شاردًا، موليني ظهره في براءة.

يا لبساطة الأمر! بالتفكير في أن دفعة صغيرة مني ستجعل من وجه هذا الشاب طعامًا للقضبان الجائعة!

تخيل.. أنت هنا > (دفعة بسيطة) > لم تعد هنا!

لا تنظر لي هكذا كأني أتحدث بسادية! فكِّر معي في الأمر.. إن سُبُل القتل متوفرة أكثر من سبل الحياة، والدوافع إليه أكثر من أن تُحصَى، حتى إني لأندهش كيف يكون عدد جرائم القتل بهذه الضآلة!

على الأقل يمكنك أخذ الأمر من شق إنساني.. فكِّر للحظة أننا نحكم على القاتلين بقسوة زائدة.. كم من الوقت نكلِّف أنفسنا عناء التفكير في دوافعهم حتى!؟

في رأيي كفى بشهوة القتل نفسها من دافع! أراهن أن فكرة القتل تراود كل منا عن نفسه، والتفاوت يقع في مقاومة كل منا لإغراءاتها فحسب.

مطلًّا من نافذة خواطري على أرض الواقع، فوجئت به قد استدار إليّ، واتسعت عيناه تحدقان في وجهي بارتياع.

ماذا به!!؟

أتراه لاحظ النظرة المتعطشة في عينيّ؟ أو أفزعته ابتسامتي المجنونة؟ أم أنه انتبه لارتعاشة يدي التي ما عادت تستطيع المقاومة؟

لم أسترسل في تساؤلاتي طويلًا هذه المرة؛ ففي لحظة كانت يدا الشاب تنتزعاني من مكاني، لتلقي بي خارج القطار!

آخر ما رأيت وأنا أهوي نحو القضبان الجائعة كانت النظرة المجنونة في عينيه.. نظرة أحفظها جيدًا وعن ظهر قلب..
نظرة تقول:

"كنتَ هنا < (دفعة صغيرة) < لم تعد هنا!"



أوديسة عشقك

حين استيقظ عقلي على تلك الرائحة المُسكِرة من الألحان الملائكية الزرقاء، أدركت أنها قد حلت بالمكان دون شك. ذاك الاستنفار الذي ألمّ بجميع خلاياي، والعصيان الذي ألقى بي من على متن سفينتي الخاصة فلم أعد ربانها، لن يحدث إلا مع قدومِ المد الأنثوي الجارف الذي تمتلكه هي.. مد لم يعرف مهادنة لأي شاطئ يومًا.

لكم تمنيت أن أكتم أنفاسي قبل أن تبتلعني أمواجها!

أذكر المرة الأولى التي التقينا فيها كأنها كانت بالأمس.. كنا وقتها في (مارس)، شهر ميلاد الطبيعة وانتشاء الكون بعودة الدفء إلى أضلعه المجهدة، بينما (الربيع) المُكلل بتيجان السماء لايزال يخطو خطواته الخجلى الأولى فوق الربوع النائية. وكنت أنا جالسًا في مقهى (SBUX) الشهير المجاور لأحد فنادق الإسكندرية، أصارع صداعي النصفي محاولًا إغراقه في بحر الظلمات الملبد بالكافيين، ولكن الحياة لم تكن يومًا بتلك السهولة!

كنا على مشارف الغروب، فملت برأسي قليلًا في زاوية معينة كي أرى قارب صيد بعيد بدا من هذه الزاوية كأنه يسبح في عين الشمس الدامية. ولأن اللوحة الربانية كانت مُعجزةً عن الكلام خاصةً لمن يعشقون اللوحات مثلي، اندمجت في معالمها إلى درجةٍ لم أنتبه معها لذلك النادل الذي كان يتقدم على عجل دون أن ينظر في اتجاهي و...

ـ «أنا آسف للغاية يا سيدي.. سوف أحضر لك منشفة في الحال.. حقًا لم أقصد هذا!»

لم تكن الحرارة التي شعرت بها مصدرها الكوب الساخن الذي انسكب فوق ملابسي وحده، وانما لسعات عشرات الأعين التي صُوِّبت نحوي كأسهم نارية لا ترحم. كدت أفقد السيطرة على أحبالي الصوتية التي أعدت العدة كي ترد له الصاع قِدرًا كاملًا وليس صاعين فحسب، لكن تلك الظاهرة الكونية التي تجلت في عالمي حينها جعلتني أتسمر مكاني للحظات، قبل أن أربت على كتفه دون أن ألتفت إليه حتى، كأن عيناي لم تعودا ملكي!

الكوكب الدري كانت تجلس على بعد طاولتين مني، منغمسةً في عزف ترنيمة سلام لكل الموجودات من حولها، ومن دون أي آلات موسيقية.. فقط وجودها هي كان الآلة والموسيقى.. الحقيقة والحُلم!!

ومنذ تلك اللحظة توقفت ذاكرتي عن حَمل أي ذكرى جديدة بصدد ذاك اليوم ما عدا صورتها. لست واثقًا كيف كان لون البحر ساعتها، لكنني أعلم جيدًا أنني أتذكر كل تفصيلة منها: النظارة الشمسية من نوع (Cat eyes)، والتي حين كانت تنظر بها تلك النظرة الجانبية كانت تُذكِّر اللغة لِمَ تحوي بين طياتها لفظة (أنثى)؛ (البولورو) الأنيق أحمر اللون الذي كانت ترتديه فوق (فيست) ذي لون ربيعي رقيق.. كانت هي الربيع للربيع!

لمّا توارت الشمس، مدت أناملها الدقيقة نحو (أعين القطة) خالعةً إياها، لتفسح المجال لعينيها كي تغزوان كل شيء تقعان عليه. تلك شمس لن تعرف الغروب أبدًا.

هاه! يا للسماء!

لقد نظرت صوب عيني مباشرة!!

احتجت إلى كلمة جديدة لكي أصف بها ذاك الإحساس الذي غمر كياني فلم يجاوره شعور آخر.. كانت تجذبني نحوها.. تجذبني من نفسي.. وشعرت

للمرة الأولى بتلك المستقبلات الجديدة التي زودتني بها، فصرت أرى الألحان البرّاقة تتطاير من حولي، وألمس الألوان حتى استشعرت ألوانًا جديدة لم يصلها أحد من البشر قبلي. لقد ندّت شعيراتي الدموية برائحة السعادة المنبعثة من المحيطين بنا حد الإدمان!

شعرت برجفة تتسلل إلى ذراعيّ، فأحطتهما بكفيّ مدلكًا، قبل أن أنظر صوبها من جديد.

وفجأة..

اتسعت عيناي في ذهول مطبق، وأنا أتابع ما يحدث أمامي بنظرات صماء لا تقوى على الصراخ من غرابة ما ترى. كانت واقفة في موضعها وقد بدا زيها الآن مختلفًا تمامًا عما كانت ترتديه سابقًا، لكن المشكلة البسيطة المضافة إلى ذلك هو حقيقة أنها قد صارت... حورية بحر!!

يا للمصيبة! لقد كان الكافيين قويًا على ما يبدو! وقبل أن تترك لي الفرصة للاندهاش، اندفعت نحوي بذيلها في سرعة وقوة، جاذبةً إياي من ذراعي، فلم أشعر بنفسي إلا وقد ارتفعت عن الأرض محلقًا كأنني أحد شخصيات رواية (بيتر بان)، لكن الفارق هنا أنني قد ارتفعت عن الأرض لأنها لم تعد أرضًا؛ لقد صرنا أسفل المياه الآن، وكل شيء حولنا بات جزءًا من قاع الأزرق المهيب!

كنا ننطلق مسرعين وأنا لم أزل تحت تأثير الصدمة، عندما سمعت صراخًا غاضبًا أتٍ من خلفنا، وأحدهم يصيح: «لنمسك بذاك المخلوق؛ فإنه يساوي ثروة حتمًا!». كانت سفينة.. سفينة قديمة كتلك التي نشاهدها في أفلام القراصنة عادةً، ومَن هؤلاء الرجال المحترمين!؟ لقد كانوا القراصنة بالطبع! بل هم أسوأ من ذلك: قراصنة صيادو جوائز يجمعون الكائنات الخرافية..

لابد وأن حوت (موبي ديك) المسكين يرقد متذمراً إلى جوار (السيكلوب) في قبو سفينتهم!

عبرنا كلمح البصر بين برجين شاهقين بديا أسفل المياه كنوع جديد من البواخر ناطحة السحاب، أو كأنهما بداخل حوض زجاجي عملاق. ولم نكد نتجاوزهما حتى تموجت الصورة بغتةً، وإذا بنا نقف فوق سفينة أخرى وقد تبدل المشهد في سرعة رهيبة لم أصدقها. كنت أرتدي زيًا يشبه أزياء المحاربين الرومان، وكانت هي ترتدي فستانًا أبيض اللون مخملي كواحدة من آلهة الإغريق القدامى. بدت غايةً في الحسن، وقد تخضبت وجنتاها بحمرة تخلب الألباب. شعرت بالكلمات تخرج من شفتي ولكن كأنها متشحة بروحٍ أخرى: «لم تر عينا (الإسكندر) من هو في مثل سحرك من قبل مع أنهما قد طافتا العالم بأسره.. إن جمالك هو لغز لن يتمكن (سقراط) حتى من فهم سره!»

نظرت إلى الجانب الآخر في خجل دون أن تدري ماذا تقول، فتقدمتُ منها مبتسماً، وانحنيت مقدمًا لها عقدًا يحوي جوهرةً أقل سحراً من ثغرها بارع الرسم. قاطع دفء اللحظة شخص أصلع الرأس يرتدي زيًا فرعونيًا تقدم مني في احترام قائلًا: «المجد لابن (آمون) البار.. لقد جهزنا مركبًا ملكيًا من مراكب الشمس كي ينقل جلالتك وجلالة الملكة إلى (طيبة).. عسى أن تنعما بالسعادة في حياتكما، وحين تخلدان إلى منازل (أمنتت) المقدسة!»

أذكر أنني قرأت عن (أمنتت) هذه مسبقًا.. كانت تعني في مصر الفرعونية (الغرب) نسبةً إلى العالم الآخر والحياة الأخرى التي كانوا يؤمنون بها.

حييته بهزةٍ من رأسي، وتقدمت هي نحو مركب الشمس كالنسيم فوق المروج، لم تحركه قيد أنملة لمّا خطت بداخله، ولم تكد تفعل حتى عاد التموج من جديد، فرأيتها تصرخ مستغيثة وهي تعتلي صهوة جواد خلف

أحد الرجال الذين كانوا يرتدون زي فرسان المعبد ويركض أمامي في سرعة، وكنت أنا الآخر على صهوة جواد أدهم كالليل الدامس، أرتدى زي الفرسان العرب مطاردًا إياهم والخيول تسير فوق سطح المياه!!

كانوا يتقدمون نحو قلعة على امتداد البصر، وكانت هي تنظر نحوي بأعين خائفة انتزعت روحي من داخلي انتزاعًا.. الأوغاد!! سوف ألحق بهم حتى ولو إلى آخر العالم.. فقط انتظري يا أميرتي.. سأنقذك!

أوشكتُ أن أظفر بهم، لولا أنني فوجئت بموجة من الماء تعلو أمامي من قاع البحر، فجذبت صهوة الجواد مسرعًا وأنا أحاول مستميتًا السيطرة عليه. قفز من وسط الموجة سرب من الأسماك التي توجهت نحوي ساقطة من السماء كمجموعة من الشهب المحترقة.. رفعت ذراعي أمام وجهي لكي أحميه من الاصطدام.. ولكن في أقل من ثانية كانت الأسماك تتبدل بتتابع أخّاذ لتصبح أخيراً كرات ملونة لتسقط في النهاية بين يدي ذاك المهرج الذي أعاد رميها في الهواء متلاعباً بها.. أجل، لقد تبدل المكان مرة أخرى!

كنا نقف داخل بلاطٍ ملكي، وكان هذا على ما يبدو مهرج الملك الذي يسليه، ومن حوله بعض الراقصات اللاتي كن يرقصن على لحن يشبه أجواء (ألف ليلة وليلة). أشار الملك نحوي هاتفًا في غضب عارم: «أمسِكوا هذا الصعلوك! لقد حاول التقرب من ابنتنا الأميرة ويجب أن يصير عبرة لغيره!»

هجم قطيع الثيران من الحرس يبتغون رأسي، لكنها اندفعت قبلهم واقفة أمامي وهي تصرخ في مرارة: «كلاااا!! إذا أردتم قتله فعليكم أن تقتلوني أنا أيضًا!». وددت لو أضمها بين ذراعي الآن وهي تنقل بصرها القلق بين الحرس وبيني، مرتدية منديلًا ورديًا غطى ما هو دون عينيها. فجأة نظرت من فوق كتفي صارخةً: «انتبه!». كان أحد الحراس يحاول التسلل من خلفي خِلسةً، فاستللت السيف منحياً إياها بعيدًا عن الحارس، وانقضضت

عليه أبارزه، وأعمدة القلعة الشاهقة تردد أصوات تقارع سيفينا. استغل بقية الحرس ابتعاد الأميرة وانضموا إلى القتال في شراسة، وأنا أصد جميع الهجمات التي تأتيني من كل ناحية. وانتقلت ساحة القتال إلى السور الخارجي للقلعة، وأنا أتراجع ضاربًا يمينًا ويسارًا. شعرت بالإنهاك الشديد الحد الذي لم ألتفت فيه إلى موضع قدمي من السور، ليختل توازني فجأة دون سابق إنذار وأسقط هاويًا في اتجاهي نحو الصخور الحادة ونحو هلاكي المحتم و...

«يا أستاذ!! أتسمعني!؟ هل أنت بخير؟؟»

نظرت نحو مصدر الصوت كمن عاد لتوه من أرض الأحلام، ورأيت نادلين يقفان أمامي، ويبدو أن الأول قد أحضر زميله عندما شك أن الكوب الساخن الذي سكبه فوقي لربما أصابني بخطب ما في عقلي بشكل لا أدري كيف يكون!

«أجل أجل أنا بخير.. أعني أنني لست بخير.. أعني أنني كنت في أفضل أحوالي منذ قليل والآن كيف صرت؟؟ أنا فقط بخير!.. أتعلمان ماذا؟؟ انسيا ما أقوله!»

نهضت من على طاولتي يائسًا.. وبالطبع...

كانت هي قد غادرت!

☆☆☆☆☆

(Arigato Guzaimasu)..

كانت هذه أولى الكلمات التي تعلمتها من اللغة اليابانية قبل أن أسافر إلى هناك في (يوليو) الماضي، وتعني حرفيًا (شكرًا جزيلًا). وقد استخدمتُ هذه

الكلمة أكثر من أي كلمة أخرى هنا؛ فكل شيء من حولك يجعلك ترغب -لاشعوريًا- في قولها!

كنتُ جالسًا في إحدى الحدائق العامة المعطرة بأشجار الساكورا الوردية الساحرة، والتي تشعرك براحة نفسية لا مثيل لها، كأن الحياة قد صارت فتاة صغيرة لا همّ لها سوى الركض في الحدائق الإلهية الغنّاء، بعيدًا عن أية أعين ترقب سحرها وعفتها الأبدية. انطلقت ضحكة عفوية مني حين رأيت صبيين يتسابقان في ندِّية وتصميم للوصول إلى سفح جبل (فوجي)، ذاك الصرح الطبيعي الهائل لديهم والرمز المميز لليابان.. سمعتهم يطلقون عليه (فوجي-سان) أثناء تناولي لوجبة السوشي-نيكيري في أحد المطاعم هذا الصباح.. عليّ أن ألقي نظرة أكثر قربًا نحوه!

حصلت على منظار مقرَب من أحد الموجودين بصحبتي في الحديقة، فحييته منحنيًا كما يفعلون هم، فبادلني إياها بابتسامة ودود. كنت أرى (فوجي-سان) بوضوح الآن، وشعرت كأن السحاب يخرج من قمته ذاتها، فارتوت حقول الشغف والاستمتاع لدي حد الامتلاء.. هؤلاء بعض الصبية يطيّرون طائرتهم الورقية أيضًا.. جميل جميل.. لقد كان (الصيف) الأخضر النضر ينثر كفيه الخصبتين بكل وضوح في كل تفصيلة من حولي.. صارت الطبيعة الآن شابة بارعة الجمال!

في اللحظة التالية أقسمت أن المنظار كان على وشك أن يقتلع عينيّ المتسعتين ليُحلق بهما مبتعدًا كنسر جارح!

قطرات الزمن قد توقفت عن الهطول من غيمتها، فصار كل شيء ثابتًا كمتحف لانهائي من التماثيل الشمعية الجامدة. أشجار الساكورا قد نزعت عنها عباءتها الوردية في انبهار؛ لتعطيها للزهرة الوحيدة التي نمت على ضفاف الفردوس الخالد..

لقد كانت هي!! هنا وعلى بعد الآلاف من الكيلومترات المغطاة بأشواق شهورٍ لم تعرف فيها ذرات خلاياي للاستقرار أو الهدوء طعمًا منذ أن غادر نجمها أفقي. وقفتْ تراقب مجموعة من أزهار البنفسج مرتدية فستانًا سماوي اللون، وتربط خصلات شعرها بشريط أبيض ينسدل على كتفها في وداعة.. من سوء حظ الفراشات أن تتواجد مع هذا الملاك في نفس المكان!!

أنزلت المنظار عندما رأيتها تدنو من الحديقة لامسةً إحدى الزهرات القريبة منها، وبينما تفعل ذلك وجدتها تلتفت ناحيتي لتمر هاتين الزمردتين الصافيتين بعيني للحظة! ولم أستطع أن أقاوم هذه الرجفة التي انتابت جسدي حينها، فنفخت في كفي لكي أبثهما بعض الدفء، ولم ألبث أن أنفخ نفخة ثانيةً فيهما حتى صعقني اختفاء الأرض من تحت قدمي بغتة، لأسقط من ذاك الارتفاع الشاهق صارخًا بعنف، حتى كاد لهاء حلقي أن يقفز خارجًا!

حاولت أن أضرب بذراعي الهواء ولكن لا فائدة.. كانت هذه هي النهاية على ما يبدو! وفجأة، وقبل أن أصل إلى الصخور بعدة أمتار، رأيت ذاك الظل الضخم يمر أسفل مني في سرعة خاطفة، لأسقط فوق ظهره البارد الذي يشبه في ملمسه الحراشيف التي تغطي جلد الثعبان، وأنجو من الموت بأعجوبة!

كانت أنفاسي عاليةً متسارعة كأنني كنت في سباق مصيري مع (Flash) أسرع الأبطال الخارقين على الإطلاق.. ولكن ما إن هدأ الأدرينالين قليلًا عائدًا إلى معاقله، حتى تأملت ما أنا جالس فوقه محاولًا فهم ما حدث، فقط ليعود بركان الأدرينالين للثوران بعدها، ولكن هذه المرة من فرط المفاجأة.. لم يكن ما التقطني سوى تنين.. تنين هائل الحجم!!

«أتحتاج إلى توصيلة؟» قالتها هي مازحةً بعينين تنبع منهما القوة والأنوثة في آنٍ واحد، فابتسمتُ متشبثًا في ظهر التنين المحلق في شموخ مجيبًا:

«فقط إن كان توقيتها ممتازًا كهذه!»

مالت بجسدها للأمام واضعةً كفيها على عنق التنين، قبل أن تصيح في حماس: «لننطلق إذن! أرنا ما الذي تعنيه السرعة يا (ريو)!»

وكأن الزاحف الأسطوري قد فهمها، حرك عنقه نحو الأعلى مصدرًا فحيحًا صاخبًا يصم الآذان، قبل أن يضرب الهواء بجناحيه ضربةً هادرة مثيراً عاصفة هوائية أسفلنا، ثم ينطلق ملتهمًا السماء التهامًا. وجهتنا كانت بالقرب من إحدى الغابات القديمة المجاورة لجبل (فوجي).. هبط (ريو) في منطقة مرتفعة نسبيًا، لنرى عددًا من الفرسان الواقفين هناك يرتدون زي محاربي (الساموراي)، ويخوضون قتالًا ضاريًا بين بعضهم البعض. قفزت هي من على ظهر (ريو) في رشاقة قبلي، وسارت في هدوء تجاههم. لم ألاحظ أنها كانت ترتدي ما يشبه بذلة (النينجا)، عاقصة شعرها خلف رأسها على هيئة ذيل حصان، فتهبط التلة في خفة ملقية بقوانين الجاذبية عرض الحائط.

لم أفهم ما حدث في الثانية التالية؛ فما أن رآها المحاربون قادمة نحوهم في ثقة، حتى توقفوا عن القتال دون أي مقدمات، وتجمدت أبصارهم محدقين فيها. كان التعجب مرتسمًا على الوجوه في أقصى آياته، حتى أن البعض قد سقط منه سلاحه ولم يكترث له. كان لحضورها أثر نوراني بالغ على أرواحهم، لربما نسوا معه لِمَ قد يستل أحد سيفًا في كوكب يطرق أرضه كيان مثل هذا!

قفزتُ من على ظهر التنين، وما إن استقرت قدماي فوق الأرض، حتى تموجت الصورة كما حدث في المرات السابقة، وإذا بي أهبط وسط بركة

ضحلة من المياه، وإلى جواري يقف عدد من الرجال مرتدين قمصانًا بيضاء اللون وعلى رؤوسهم قبعات مصنوعة من القش أو ما شابه، ويواصلون الانحناء بشكل مستمرٍ نحو المياه واضعين شيئًا ما، ثم يتحركون إلي الخلف ويكررون نفس العملية في إيقاع محكم يثير الإعجاب.. تلك لم تكن بِركة إذن؛ لقد كنا في أحد حقول الأرز، ونحن الآن في موسم زراعته الوفير!

لم أستغرق الكثير من الوقت حتى التحمتُ مع تلك الأوركسترا الخضراء الدؤوب، سعيدًا ممتن النفس وأنا أضع بيديّ الغرسات داخل التربة معيدًا إياها إلى رحاب الطبيعة الأم. هبت نفحة من الهواء فاعتدلنا جميعًا لنستقبلها بصدرٍ رحبٍ ممتن لمرورها بوجوهنا المستعرة! عندما اعتدلتُ رأيت مجموعة من الفتيات يقفن إلى جوار الحقل يتطلعن إلينا في فضول، ممسكات بمروحاتهن التي كانت تجعلهن يبدون كالعرائس ذوات الخدور اللاتي يسكنّ الأقمار البعيدة وتناجيهم القلوب الهائمة مع كل ليلة. ومن بين تلكم الفتيات، كانت تقف هي مرتدية زي (الكيمونو)، وتضع مروحتها أمام وجهها لتطل بعينيها من خلفها.. لابد أن من سمى (اليابان) بذاك الاسم، والذي يشير إلى الأرض التي تنبع منها الشمس، قد شاهد جوقة السحر هذه التي تعزف دون توقف من مآقيها.

«سيصير الأرز أطيب من أي عام هذه المرة!» قلتها وأنا أمسك بواحدة من الغرسات، فارتفع حاجبا المزارع بجانبي متسائلًا: «حقًا!؟ وكيف عرفت ذلك!؟». قربت العشبة من أنفي لأشم فيها بعضًا من عطرها الذي تطاير ليغمر قمة فوجي في عليائها حتى، قبل أن أجيبه بابتسامة تقطر عشقًا: «أعرفه فحسب»

كانت قد غادرت مع البقية، وقبل أن تخطو إلى داخل الغابة الكثيفة، التفتت إلى الوراء بأعين لا ترغب في الرحيل. بدت كمن يريد الاعتراف بشيء

ما في داخلها، لكنها تقف مترددة عند عتبة البوح، تدفعها يد لكي تدخل وتكبلها ألف يد أخرى عن المرور! عندها أعطيت الأرز للمزارع وأنا أعدِّل من ملابسي المشمرة على عجل راكضًا إلى خارج الحقل. لن أتركها هذه المرة! سوف أخبرها بما ارتسم في لوحة قلبي تجاهها!

كانت تقف هي في سعادة وغير تصديق الآن، حتى أنها قد نسيت وضع المروحة، واعتلت وجهها نيران الخجل وهي تمسك بأصابع يدها في ارتباك آسر، جعلني أتمنى لو يصير العالم ساحة للأشياء المربِكة! لم يكن بيني وبينها الآن سوى مترٍ واحدٍ فقط، فاهتزت أوتار روحي تستعد لتخبرها بكل ما أشعر به و...

«احتررررس! إنه مستخدم لعنصر الظلام!!»

ما إن اخترقت الصرخة الملتاعة أذني حتى فوجئت بذاك الشيء يتجه نحوي في سرعة قاتلة! كانت تشبه كرة النيران لكنها نيران سوداء غريبة لم تشِ هيئتها بالخير أبدًا! قفزتُ نحو الجانب قفزةً أشبه بالمعجزة لم أتخيل يومًا أنني قادر على فعل مثلها، ثم درت في الهواء متراجعًا خطوة إلى الخلف. وقفت أتأكد للحظة مما أراه أمامي بالضبط. كنا نقف في ما يشبه حلبة قتال كالتي كان العبيد يصارعون فيها الوحوش المفترسة، لكنها كانت من طراز مختلف؛ فكان جميع الحاضرين يبدون غريبي الهيئة، بعضهم كانوا يملكون هالات ضوئية تحيط بأجسادهم، وآخرون كانوا يرتدون بذلات قتالية تجعلهم يبدون كالروبوتات، البعض الآخر يمتلكون ملامح آدمية لكن تعتلي رؤوسهم قرون أو أجنحة، وغيرهم يمسكون بسكاكين نجمية أو سيوف عجيبة التصميم.. الآن قد فهمت! هذه الحلبة ليست حلبة قتال عادية.. لكنها حلبة قتال فانتازية!!

أجل.. يبدو أنني كنت الآن داخل واحدة من قصص (المانجا) تلك، و(المانجا) هي القصص المصورة اليابانية التي يتم تحويلها فيما بعد إلى (الأنمي) الذي يشاهده الكثيرون بجنون. أما ما بداخل الحلبة، فكان يقف أمامي رجل قوي الهيئة عيناه ذاتا لون أحمر قانٍ، ويتولد من بين أصابعه ما يشبه الشرر الأسود، وأمامه كانت تقف هي بشعر أسود لا يتجاوز مؤخرة العنق، وترتدي زيًا كأزياء معظم فتيات (الأنمي). لم تكن خائفة، لكن التوجس كان باديًا في عينيها، لا أدري أكان على حياتها.. أم على حياتي!

أحاط عنقها بذراعه من الخلف مبتسمًا ابتسامة صفراء، قبل أن يقول بنبرة شيطانية: «والآن شاهد نهايتها!»

قبل أن يتم عبارته شعرتُ بذاك السيل المدمر من الطاقة يتدفق في عروقي، وكأن جسدي على وشك الانفجار من القوة الهائلة التي سرت فيه، حتى أن أرض الحلبة الصخرية قد بدأت تتفتت من تحت قدمي، وتتصاعد الحصوات الصغيرة في الهواء من حولي في شكل دوامات هوائية عاتية!

جحظت عيناه من هول المفاجأة، فقال مشدوهًا: «اللعنة! ما الذي يحدث بحق الـ...

ولم يستطع أن يكمل عبارته؛ لأنني -وفي جزء من الجزء من الثانية- كنت قد نسفت فكه بلكمة ساحقة أطارته إلى الخلف عدة أمتار ليصطدم في جدار الحلبة مدمرًا إياه قبل أن يسقط هامدًا دون حراك!

وعلت أصوات الجماهير الصارخة في فرح هيستيري، محيين إياي على هذا الفوز الساحق.. لكنني حتى في هذا العالم الخيالي لم يكن يهمني سواها هي.. هي من أوجدت بداخلي تلك القوة المرعبة حين شعرت أنها في خطر محدق، وهي من تضع في قلبي الوداعة والطمأنينة حين تكون إلى جواري. كانت هي عالمي دومًا!

حين اقتربتُ منها بدا عليها التأثر مما حدث، وقالت لي بشفاه مرتجفة: «أنا... أريد إخبارك بأمر ما!»

نظرت إليها في فضول وقد هالني ما أبصرته في عينيها. ترى هل تريد أن تخبرني بما أظنه!!؟ هل ستعترف أخيراً بـ...

«هل لازلت في حاجة إلى المنظار يا بني؟؟»

أعادتني عبارة الرجل من موج الأحلام الذي كنت غارقًا فيه حتى النخاع، فابتسمت له معتذرًا، وبررت له بأنني قد اندمجت في السحر الآسيوي الذي تركني محتبس الأنفاس. أخذ المنظار واستدار هامًا بالرحيل، بينما بحثت أنا بعيني في كل شبر من المكان كي أعثر عليها، ولكن للأسف.. كانت كالبخار الذي تبدد دونما أثر! وجدته يسألني في اهتمام: «أستمحيك عذرًا، ولكن لقد لمحتك مرة أو مرتين بشكلٍ عابرٍ بينما كان المنظار بحوذتك، ولقد لاحظت أن نظراتك الزائغة هي نظرات شخصٍ من اثنين: إما شخص يعاني من خطبٍ ما في عقله، أو شخص يبحث عمن سيجعله يعاني من خطبٍ ما في عقله.. فأيهما أنت؟؟»

لم أدر أكانت تلك مصادفة حقًا أم أن الرجل يعرف شيئًا، فأجبته: «قل لي.. إذا ما رأيت شخصًا في مكانين مختلفين تمامًا، وفي كلتا المناسبتين يختفي ذاك الشخص من أمامك على نحوٍ مريب.. فما تفسير ذلك؟؟»

نظر إلى السماء ناحية قمة الجبل ثم أجاب بصوتٍ هادئ: «أظن أنه واحد من الـ(يوكاي).. أنت مطارد يا بني»

كانت (يوكاي) تعني شبحًا أو الأرواح التي تعيش في الغابات والمعابد القديمة غالبًا، فقلت له وأنا أودع أشجار الكرز وأزهار البنفسج التي

تخيلتها تسير إلى جوارها: «أجل.. أظن أنك على حق.. لقد كانت (يوكاي) بلا شك!»

☆☆☆☆☆

والآن.. أعود إلى نقطة البداية من جديد! كنت قد بدأت جولة سياحية في المدن الأوروبية محاولًا نسيان ذاك الطيف الذي لا يريد أن يفارق حواسي في الصحو ولا خيالي عند النوم. شعرت أنني منذ أن لمست وجودها بين أجفان الكون وأنا لم أعد أملك روحًا كاملة، وإنما صرت أحيا بجزء هو أقل من النصف لا يكفيني سوى للعيش بالكاد، إلى جوار بعض الأنفاس المتقطعة التي تريح صدري من آنٍ لآخر حين تهامسني ذكرى عن مصدر الأوكسجين الأبدي بالنسبة لي! كانت نهاية الجولة في عاصمة الفنون وأيقونة الجمال الحالم في العالم.. (باريس) النور والنار: نور التألق والأناقة التي تحيط بكل شيء كأغلى سوار يحيط بمعصم الدنيا، ونار الأحبة الذين يملؤون شوارعها لتذيب كل ما تقابله أمامها في زجاجة من العطر الأثير تحمل خلاصة الرومانسية داخل جزيئاتها!

كنت في حفل، وكان الجميع يرقصون على أغاني (Edith Piaf)، تلك الأسطورة التي لو عاشت في أزمنة الإغريق القديمة لكانت قد حلت محل ملهمات الشعر والفنون التسع الشهيرة. أعقب ذلك أغنية (الرقصة الأخيرة) للقيثارة الرقيقة (Indila)، والتي كانت خير عنوان لتلك الليلة الخريفية من (نوفمبر).. الخريف أغزر فصول العام فيضًا بالمشاعر! مشاعر الخوف من فراق من نحب كما تفارق الأوراق أشجارها في معزوفة انتحار ملحمي.. مشاعر الشوق إلى اللمسات الدافئة التي تربت على قلوبنا كما تشتاق الحياة إلى أحاديث ليالي الصيف والربيع المنقضية، وشعور الفرح الفطري الذي يعتري الطفل بداخلك حين تفتح السماء أبوابها باسمة لتسقي من

على الأرض من مياهها النقية مطفئة ظمأ الوحدة في حلقهم. الطبيعة ترقص رقصتها الأخيرة العبثية غير المكترثة لأحد بين ذراعي الخريف، قبل أن يأتيها وقار الشتاء الرمادي!

وبينما أقف في صحراء تيهي هكذا أشاهد الناس ينعمون في بساتينهم حولي، إذ استيقظ عقلي من سباته الذي امتد أيامًا وشهورًا.. استيقظ على تلك الرائحة المُسكِرة من الألحان الملائكية الزرقاء.. لقد حلت بالمكان دون شك! كانت تقف بالطرف الآخر من القاعة تتوهج في فستان أسود لامع، وترتدي فوق كتفيها معطفًا من نفس اللون. هذه المرة لن أقف ثابتًا في مكاني. سواءٌ أكانت روحًا أو أنها من سكان نجم آخر حتى، سأصل إليها مهما حدث!

تقدمت خطوتي الأولى منها، وعندها اضطربت أوتار الكمان مرتعشة، لأجد نفسي أرتجف تلك الرجفة التي صرت أميزها عن ظهر قلب. كانت أمامي الآن وقد وقفنا فيما يشبه القرية الصغيرة ليلًا.. ومن بعيد كان يتجه بصوبنا بحرٌ هائج من الناس الذين يحملون المشاعل.. جذبتها من يدها وأسرعنا نركض مبتعدين، وهي تقول في صوتٍ مختنق: «ولكن الأمر.. الأمر الذي أريد إخبارك به..» نظرتُ في عينيها مباشرة وأنا أقول في ثقة: «أنتِ مصاصة دماء.. أعرف هذا جيدًا.. ومع ذلك فأنا لا أهتم»

نظرت إليّ بحدقتيها اللتين قد صارتا حمراوتين الآن، ولم تستطع أن تمنع ابتسامتها ونحن نقفز سويًا فوق أسطح البيوت، مطارَدين من كل أهل القرية، وربما من أهل الأرض جميعًا.. ومع ذلك لم أهتم لأنها كانت إلى جانبي! خطوت خطوة أخرى نحوها.. أصابع البيانو هي التي تعزف بالموجودين بالحفل الآن. كنا نقفز من جديد ولكن هذه المرة من فوق سطح مبنى ضخم ويرتدي كلٌ منا مظلة على ظهره! هبطنا بالمظلتين في

انسيابية، قبل أن نسرع راكضين إلى سيارتين فارهتين بانتظارنا. كنت أرتدي حلة سهرة سوداء وكانت هي ترتدي فستان سهرة فضي وفي جانبه يستقر مسدس صغير الحجم. ركبت سيارتها بقفزة رشيقة، قبل أن تنظر نحوي مبتسمة في تحد قائلة: «هل استسلمت أخيراً.. (بوند)!؟». حينها فطنت إلى الأمر، فقفزت أنا الآخر داخل سيارتي لأبدأ مطاردتها المثيرة التي تليق بجاسوسين محترفين مثلنا، مردفًا في ابتسامة عريضة: «يمكنك الهرب كما تشائين.. لكن لا أحد استطاع الإفلات من (جيمس بوند) مسبقًا. سأصل إليكِ حتمًا!». كنت قد قطعت نصف الطريق إليها الآن، فوجدتها -وللمرة الأولى منذ أن تقابلنا- تتجه بخطوات بعضها خجِلة وبعضها واثقة، لكن الأكيد أن جميعهن كن كلمسات (نيسان) الحانية.. تسير فوق السحاب فلا تهتز منه قطرة! حرّك المايسترو يديه فتزامنت نقرات الطبول مع نقرات حذائها، وتمايلت أنغام الأبواق على اللحن الصادر من أنفاسها المتسارعة التي سرقت مني البقية الباقية من أنفاسي.. وحين حرك قائد الأوركسترا يديه ثانيةً كنت أنا أيضًا أحركها بعدها، ولكن كنت أنا من يقف على المسرح هذه المرة مرتدياً قبعة سوداء وعباءة منحنياً للجمهور الذي يصفق لي في حرارة بالغة، ومددت يدي إلى الجانب فوجدت أناملها الدقيقة تستقر في راحتي كأنها تعزف على أوتاري، لتنحني محيبةً أيضًا ولكن وهي تنظر إليّ بعينين تتألقان كمجرة سرمدية. قلت لها: «والآن سأريكِ خدعتي الأخيرة». ثم انحنيت طابعًا على ظهر يدها قبلة استودعتها كل روحي ناقلًا فيها ما لم أستطع أن أنطقه من كلمات، لتسري في أوردتها مسرى الدماء.

وما إن فعلت ذلك حتى انفجرت الألعاب النارية والزينة من فوق الجمهور، مغطية إياهم بالغبار اللامع، مع ظهور تلك اللوحة الكبيرة محمولة في الجو ببالونين أحمري اللون، وقد كُتِب عليها الكلمة التي أردت

أن أقولها منذ لحظة سقوط المشروب فوق ملابسي، وسقوطي أنا في بحورها الواسعة.

«((أنا أحبك))»

قلناها سويةً في نغمة قدرية ما إن وصلنا إلى بعضنا في منتصف القاعة، فأفسح الجميع لنا المجال لنرقص على ألحان (الرقصة الأخيرة) رقصتنا الأولى.

سألتها في ابتسامة مداعبة: «أنتِ لستِ من (اليوكاي) أليس كذلك؟؟»، فأنار وجهها ببسمة هي الأجمل من بين كل البسمات التي رأيتها تبتسمهن عبر كل العصور والعوالم الأخرى التي كنا فيها، مجيبةً: «بل أنا (بينيلوبي) التي ظلت تنتظر (أوديسيوس) لأكثر من عشر سنوات حتى يعود إلى وطنه، وحتى يستقر فوق شواطئه من جديد!»

فأغمضت عينيّ مرددًا: «أجل.. لقد عثرتُ على وطني أخيراً بعد طول بحث.. يا أوديسة عشقي!»

....

ممم.. لا أدري أين سنقضي الشتاء القادم. كنت أفكر في (أمريكا) ربما.

أشعر أن مغامرة أخرى.. على وشك البدء!!

ندائية المطر□

مطرٌ سما عـن نائـلي

فبكـاه قـلبي وانفطـرّ

وسمــاؤه قد أقلعت

رحلت سمائي والسمـرّ

حاكتـكِ عيني باكيـة

ورَثَتكِ شمسي والقمرْ

عودي سمائي ممطرة

قد طال شوقي للمطرّ

ندائية السماء□

حجبت سمائي نورها

لما غفت حتى السَحَرْ

في صبح عيد بزوغها

لم تستنر يا للقـدرْ!

قد جئـتها بــهدية

ووقفت أرقب أنتظرْ

حتى بـدت، فتـألقت

فتخطّفت مني البصرْ

لمـا رأتـني أعـرضـت

لم تنس مـنـي ما بدرْ

مالت يدي، وهديتي

سقطت جواري تحتضرْ

قلبان□

انتهى من فضفضته بدوره، وأغمض عينيه، لتمسح هي دموعه بأناملها الرقيقة.

نظرت إلى النجوم المتناثرة في سمائهما، وقالت نصف شاردة:

«أتعلم؟ ربما كان يجدر بنا أن يحب أحدنا الآخر»

ابتسم لقولها، وقال:

«للأسف هذا غير وارد يا غاليتي»

«لماذا!؟»

ربت على رأسها وأجاب:

«لأن كلينا وفيّ.. ولابد من طرف خائن في العلاقة»

فكرت في كلماته لثوان، ثم ابتسمت بدورها، وقالت:

«نعم.. معك حق»

مالت إليه فأسندت رأسها على كتفه. وأسند هو ظهره على الشجرة خلفهما بحرص.

ألقى نظرة أخيرة على رأسها الصغير الساكن على كتفه، مراقبًا جفنيها الغافيين.. ثم ابتسم وأسدل جفنيه بدوره.

دثّرهما الليل بسكونه.. وغفيا في مكانهما حتى الصباح.

اسمع مني□

اسمع مني

واعرف إني

قاعد في مكاني ومستني

آجي ف بالك

أو في خيالك

ألاقيك جاي بتسأل عني

♥♥♥♥♥

آه لو تعرف

إن منايا

يلف العمر وتبقى معايا

انت بدايتي

وأحلى نهاية

انت سعادة وعمر وغاية

طب مش فاكر

كام أغنية

و١٠٠ بيت شعر وألف هدية؟؟

وزهرة نقية بلون الصبح

وسحابة لمملكة خيالية

♥♥♥♥♥

اطلب قلبي

مش هتأخر

اطلب روحي وعمري وأكتر

مهما ضعفت

ويَّاك باقدر

يا ملاكي وتلميذي الأشطر

♥♥♥♥♥

رسائل حب□

الرسائل التي وجدوها في إرث سامر العجوز، تحولت إلى أشهر كتاب تكللت به المئات من قصص الحب بالزواج. من المؤسف أن (سامر) المسكين لم يتزوج أبدًا.

غدًا سيكتمل القمر.. وينقص نصف الحكاية

ستأتي الكثير من الظلال المتعَبَة

وتذوب بين أوراقي.. كحروف خاطرة خائفة

لا تستطيع التنفس

حين يكتمل القمر

ستمتد أيادي الظلال نحو خيط النور

تخبئها بين رفوف الخزانة العتيقة

بين الكثير من الخطايا.. والقليل من النسيان

وتخفي آمالها بين شجيرات البيلسان

ستغني كالأشباح وسط الغيوم

وتنثر الخطايا فوق الحطب

لم نولد ملائكة.. ولن نكون كالملائكة

ولن نستطيع العيش كما نريد

فالكثير من الآمال اندثرت

واحترقت مع الحطب في نصف الحكاية الآخر

قلتُ

"غدًا سيكتمل القمر

وندفن باقي الحكاية"

لـ آلاء زهير

نبضات قلب

كأن نبضات قلبه الضعيفة الأخيرة كانت تبعث إليها رسالة وداع حزينة.

تحسست أضلع صدره الصغيرة بطرف يدها، مستشعرة ضربات قلبه الواهنة، وأنفاسه التي كانت تدخل صدره وتخرج منه بصعوبة بالغة.

انقبض قلبها حزنًا، وشعرت بشيء ما يثقل صدرها، ويضغط عليه بقوة.
أطلق طفلها الصغير صرخة ألم أوجعتها بشدة.. ونظراته لا تحمل إلا الرجاء والاستنجاد.

كادت تشاركه الصرخة، إلا أنه هدأ، وعاد لوضعه السابق. واستمر على حاله هذه بضع دقائق أخرى، وهي لا تملك حيلة إلا أن تمسح على رأسه في أسى.

حتى شعرت به يشهق شهقة متألمة طويلة، ثم هدأ بعدها وسكن..
تحسست موضع قلبه، فوجدت أن قلبه قد توقف، وأنفاسه اختفت.

أخذت تلعق رأسه لعقات متتالية، ثم رفعت رأسها عاليًا، وأطلقت مواءً حزينًا طويلا، يقطع أنياط القلوب، ويهز أرجاء المكان.

لـ هبة النجار

Hi Carnation، how do you do? ♫

Have a great news for you ♫

If you give me a happy smile ♪

I will be happy too ♥





Daisy Daisy، you're so sweet ♫

Love the moment when we meet ♫

here's a smile dances for you ♪

On my every heart beat ♥

متلازمة خيال المآتة!

الفراغ قد يصنع منك واحدًا من هذين: إما عبقريًا أو مجنونًا.. وكلا الأمرين درب ينتهي في النهاية عند الآخَر!

كنا نجلس ثلاثتنا في مؤخرة تلك السيارة من نوع (٧ راكب) -والتي تبين لنا مقدرة السائق السحرية على جعلها (٨ راكب)، وربما طائرة شراعية إذا لزم الأمر- وقد ابتلعَنا الصمت في معدته، مستغلًا انشغالنا في مطالعة نزيف الدقائق الحاد الذي ينهمر من ساعاتنا.

كان الطريق متوقفًا منذ نحو ١٠ دقائق، وقد وصلت إلينا الأخبار من أعيننا في السيارات الأمامية أن هناك حادثًا مروعًا أدى إلى الشلل المروري الذي نعاني منه الآن. بالطبع كعادة الناس عند حدوث كارثة كهذه ظهرت بوادر روح (المحلل الاستراتيجي) و(العالم ببواطن الأمور) تلوح على وجه بعض الركاب.. سيداتي آنساتي سادتي.. لنستمع لمقطوعة من هذه السيمفونية الخالدة:

- "أؤكد لكم أن سائق عربة النقل هو المسؤول؛ فقد رأيته بأم عيني وهو يسد الطريق على سيارة الملاكي المارة بجواره"

= "ولكن الحادث بين سيارة ملاكي وميكروباص!"

- "امممممم.. من المؤكد أنه سائق الميكروباص.. أقسم لكم بذلك؛ فقد رأيته بنفسي"

- "الطريق لن يُفتح قبل ساعة كاملة أقول لكم.. أنا أعرف هذا جيدًا بحكم خبرتي بهذه الأمور!"

لم أعرف أي جامعة تلك التي تعطيك الخبرة في مثل (هذه الأمور).. لكن الحديث كان قد تحول الآن إلى ما يشبه المباراة، يحاول كل من فيها أن يستعرض مهاراته في (الفتي) أمام الآخر، فآثرتُ أن أتنحى جانبًا بجهلي المطبق، وأن أحافظ على البقية المتبقية من خلاياي العصبية الغالية. نظرت خارج النافذة لأملأ ناظري بتلك الأمواج الخضراء المتهادية إلى جواري. وصفتها بالأمواج لأنني كنت بحاجة إلى الأمواج أكثر من أي شيء الآن، لهذا كانت الإسكندرية هي قبلتنا ونجمنا الذي نهتدي به.

- "يقولون أن سائق (التوك توك) هو..."

لايزال سقف المواهب يعلو إذن.. جميل!!

قررت أن أغوص أكثر مبتعدًا عن شواطئ الواقع اللزجة، فاندسست في مقعدي كعصفور في منتصف يناير. وعندها لمحت ذاك الظل الواقف هناك كأنه كيان أزلي قديم.

خيال مآتة!

وكان من الغريب أن أرى ذاك التجمع من الغربان التي تحلِّق فوقه، حتى أن بعضًا منها كان يقف على كتفه في لامبالاة واضحة، راسمًا لوحة سريالية صاخبة من نعيقهم القبيح في الهواء.

لا أدري أكانت تلك الحالة من الفراغ التي تضخ أدرينالين الخيال في العروق، أم هو الدوار الذي بدأ يزحف إلى رأسي في خبث، وقد تذكرت للتو أنني نسيت أخذ القرص الخاص به قبل أن نصعد إلى السيارة؛ تلك المأساة التي ستجعلني أشبه بطواحين هواء (دون كيخوته) بعد قليل. المهم أنني وجدت نفسي فجأة ودون سابق إنذار محاطًا بمجموعة من خيالات المآتة

التي حلت محل الجميع من حولي، كأننا صرنا نجلس داخل صندوق للدمى!!

الحقيقة أن الأمر لم يكن بعيدًا كل البعد عن الواقع؛ فهذه الأرض قد صارت فعليًا حقلًا مترامي الأطراف، والحقول دومًا بحاجة إلى خيالات المآتة التي تسكنها.

إذن كيف سنحصل على هذا الكم منها؟؟

مرحبًا بكم في أكاديمية صناعة خيال المآتة! لكي تحصلون على الخيال الميت الذي تنشدون، هناك عدة خطوات يجب عليكم ألا تغفلوا عنها.. دعونا نسردها لكم بشيء من الإيجاز:

- خيال المآتة يجب أن يكون محشوًا جيدًا، ولكن تذكر أنه محشوٌّ بأتفه الأشياء؛ كلما ملأته بالتفاهات كلما زدت من درجة الموت فيه، وهذا هو ما نبتغيه من خيال المآتة: رأس محشو باللاشيء!

- عيناه يجب أن تحدقان في الفراغ.. اصنعهما من أزرار القميص، من أزرار التلفاز.. فقط أي شيء يبث العدمية في هذه العيون.. ليس من المفترض بخيال المآتة أن يرى ماذا يحدث في الواقع؛ فأنت من يُعِد له البرنامج الذي سيسير عليه.. عيناه هي لوحتك أنت!

- دائمًا ما يكون فمه مغلقًا بالخيوط.. لا حاجة للفم مادام أنه أخرس لن يتكلم.. تذكر.. كلما كان الخيط قويًا قلت الأعطاب التي قد تنتج عنه!

- مهما كثرت الغربان فوقه لابد وأن يظل خيال المآتة واثقًا أنه قوي يستطيع طردها.. حتى لو التهمت الغربان عينه، لو امتلأ جسده بالثقوب من أثر نهش مناقيرها له.. كن واثقًا دومًا من أنه يظن عكس ذلك، وأنه لايزال الأفضل.. هكذا لن يتغير شيء.

- فِي سماء خيال المآتة لا توجد أحلام.. الوقت بالنسبة لهم لا يعدو كونه ترسًا تتداخل أسنانه في بعضها البعض فيتعاقب الليل والنهار.. لا تتكلف كثيراَ في الزي الذي ستضعه فوقهم؛ فهذا الترف غير مطلوب في صناعة الدمى.. تذكر.. لا حلم.. لا شخصية.

- أخيراَ هذا الخيال هو من صنعك أنت.. تابعك الذي يقف في ظلك، وخيوطك التي نسجته منها هي مَن ستحركه.. مِن دونك يجب أن يظل جامدًا مسلوب الحياة، وفي اللحظة التي تشعر معها أنه قد بدأ في مقاومة تحريكك له، اعلم أنه لم يعد ذا فائدة تُرجى منه!

تهانينا! لقد صنعت خيال المآتة الذي كنت تحلم به!

لايزال هناك الكثير مما يجب أن نتعلمه بشأن خيالات المآتة.. لكن تلك اللكزة من صديقي، والتي شعرتُ بها في ذراعي، اخترقت حاجز الأوهام الذي بنيته من حولي، لتعود بي إلى ساحة المناظرات التي كنت أجلس بها.

لنرى أين كنا.. سائق الطائرة هو المسؤول إن لم تخني الذاكرة!

ـ "يبدو أنها ستنفرج الآن.. قلت لكم أنها لن تستغرق أكثر من ربع ساعة؛ فأنا خبير بتلك الأمور!"

تحركت السيارة وقد دبت الحياة في أوصالها تدريجيَا، ليخرج الهواء من العادم مختلطًا بزفرة حارة من صدورنا؛ وبينما نبتعد نحو كبد الطريق، رأيت صبيين يقفان في ذاك الحقل وقد ترامت بضع كلمات من حديثهما الحماسي لتصطادها أذني في دهشة:

ـ "أنت من عليك الدور هذه المرة.. توقف عن المماطلة!"

= "ولكنني لا أحب هذه اللعبة.. لا أريد أن أكون خيال مآتة!"

ابتسمت رغمًا عني، وقد ظن بي صديقي الجنون حين رآني، فأخبرته وأنا أضع يدي خلف رأسي في هدوء:

ـ "ولا أنا يا صديقي.. ولن نصبح هكذا مطلقًا!"

لا يزال الأمـل يحيا ⁂ انطلق لا تبتئس

انس كل الدمع هيا ⁂ للشقا لا تكترث

انفض اليأس السقيم ⁂ بدِّل الحزن المقيم

عالج الجـرح الألـيـم ⁂ هامتك لن تنتكس

لا تزال الشمس حـــرة ⁂ في السماء وفي الجباه

لا يزال النبـض فينا ⁂ ثائرًا يهوى الحياة

صبّرنا صبر جميــــل ⁂ ذلل الليل الطويل

صار كل المستحيل ⁂ هينًا في منتهاه

كالأحمق

كانت الأجواء مشبعة بالتوتر والعصبية بينما تحزم العائلة حقائبها استعدادًا للانتقال إلى البيت الجديد. هو أيضًا لم يكن بحال أفضل. حمل أثقل الحقائب الجاهزة وتحرك بها خارجًا، حين بدأت مُشادّة عصبية جديدة من خلفه. أغلق أذنيه وأعصابه عن السماع بينما يمر من الباب المفتوح. وفجأة توقف، عاد خطوتين إلى الوراء، ثم رفع الحقيبة إلى وضع أفقي أمام فتحة الباب مفكرًا. نظر خلفه متأكدًا أن الجميع منشغل بالنقاش عنه، ثم تراجع خطوتين أخرتين، قبل أن يعاود التقدم تجاه الباب بخطوات مزعجة كفاية لتلتفت الأنظار كلها ناحيته في اللحظة المناسبة، فيراه الجميع يصطدم بحقيبته العريضة في جانبي الباب ثم يسقط بها أرضًا كالأحمق.

انفجر الجميع ضاحكين، بينما أزاح هو الحقيبة الثقيلة عن جسده، ووقف بصعوبة محدقًا في أعينهم التي أدمعت من كثرة الضحك. يتقافز كالأطفال حانقًا ويطالبهم بالتوقف عن الضحك، فيضحكون أكثر!

لو كنتي كتاب..

محتار هيكون إيه عنوانك؟؟

(السحر في ١٠٠ مليون كلمة)

(قوانين الجذب في أكوانك)

لو كنتي كتاب..

هيخطوا حروفه بـ ١٠٠ عاشق

واقفين بقلوب مش مالكينها

خاطبين الود بأشواقهم

جوابات في عيونهم كاتبينها

لو كنتي كتاب..

هيكون إهدائك من طفلة

براءتها بحور مالهاش آخر

لو تضحك بتخلي الفرحة

تاخدك من نفسك وتسافر

لو كنتي كتاب..

هتكون أوراقه من الجنة

والحسن بيدعي لتفاصيله

وبدايته تقول "يحكى أن"

في الرقة مفيش حد مثيله

لو كنتي كتاب..

محتار إزاي أنهي فصوله

وربيعه بيعشق ألوانك

معقولة عيونه أما تشوفك

تقبل بملاك ييجي مكانك!؟؟

لو كنتي كتاب..

فأنا نوتة بتعزف ألحانك

مخالب الرحمة

كفرد من أسرة (ريفرسون)، لم يكن أحد ليبالي باحتمالية كوني سعيدًا أو بائسًا.. لا أندهش إن كانت نصف البلدة لا تعرف أن لـ (جورج ريفرسون) ابن من الأساس.

يقع منزلنا الكبير على تلة الضاحية البعيدة للبلدة، تلتف حوله مراعينا الموروثة، ثم الطريق الطويل المحفوف بمزارع الخس حتى البلدة. بُعد بيتنا عن البلدة منعني من الذهاب للمدرسة أو الحصول على أصدقاء، لكن السيد (جابرييل) كان يأتي في الصيف لتعليمي الدروس، ولمعاقبتي يوميًا لتقصيري في دراستها.

كنت طالبًا فاشلًا للسيد (جابرييل)، رغم أني كنت نهمًا لقراءة كتب الآداب والعلوم؛ فأنا لم أكن أستمع له أثناء الدروس. ملكتُ نفسًا عنيدة، تستحب العقاب على الاستجابة لشخصية مثل السيد (جابرييل).

لم يكن أي طفل ليحبه؛ كئيب مكفهر الوجه خشن الصوت عديم الود. ضحكته الوحيدة في وجهي كانت فظة ساخرة من دمعة سالت من طرف عيني حين درسنا درس (الصداقة). كان رجلًا بلا مشاعر تقريبًا.... مثل أبي!

لا أذكر أن السيد (جورج ريفرسون) أشعرني بالأبوة يومًا.. كان أقرب للمشرف منه للأب؛ يلقي التعليمات ويهتم لشئون الأسرة ومتابعة أحوالها.. يدفع للسيد (جابرييل) لتعليمي من باب الواجب، ولا يسأل أبدًا عن مستواي أو مدى استجابتي للتعليم. منذ نعومة أظفاري لم أعتد أن أره إلا مكفهرًا لامباليًا فظًا، فنشأت على تجنبه قدر الإمكان. تجنب نظراته الصماء، تحركاته العنيفة، ورائحة الخمر من فمه.

كانت والدتي المسكينة مخطئة بأن تحدثني دائمًا عن (الأب) وحنانه الساكن في القلب رغم كل شيء، ورغبة كل أب في رؤية ابنه أفضل منه مهما أظهرت تصرفاته عكس ذلك. لماذا يا أمي!!؟ لماذا تحدثيني عن أبوة لا ألمسها، وأنا كنت قد وأدْتُ فكرة وجود الأب في مهدها داخلي كما وأدت فكرة وجود الأصدقاء!!؟

لم أستطع أن أعتبر أمي هي الأخرى صديقة لي، رغم طيبة قلبها الصادقة والعميقة. كثيراً ما حاولتُ لكنها كانت تبتعد عني دون قصد؛ كانت تبتعد عني بدفاعها المستمر عن أبي، كانت تبتعد عني بمحاولتها الكسيرة لجعلي أشعر به كأب بعد فشلها في جعله يعاملني كابن، كانت تبتعد عني باللطمة التي كالتها لي عندما صرختُ في وجه أبي إذ حاول هو أن يلطمها، أو هو كان قد لطمها بالفعل.. لم أعد أذكر ولا أريد أن أفعل.

حسنًا.. كان لي صديقان رغم كل شيء. الأول هو (بازل): عامل الاسطبل الشاب خفيف الدم. أتى للعمل لدينا وأنا في الثالثة، وعرفته فقط حين سُمِح لي لأول مرة بالنزول للاسطبل في عمر الخامسة. كنتُ دائمًا ما ألمس فيه شعوره بمعاناتي. خمنتُ أنه ربما مر بظروف مشابهة لظروفي، لكني لم أجسر يومًا على سؤاله، ولم أرد كذلك أن أعكر صفو اللحظات القليلة المرحة التي أقضيها معه يومياَ في الاسطبل الصغير.

أما الصديق الثاني، فهو (أنجل): الحصان الوحيد الباقي في الاسطبل، بعد أن اشترى أبي سيارة تعمل بالبنزين منذ مدة طويلة. عجوز ضعيف لكنه وفي طيب. كان و(بازل) صديقين مقربين جدًا، يبيتان جنباَ إلى جنب. وكنتُ أحسدهما على ذلك.

ودَّعني (بازل) أولًا وأنا في سن السابعة. كافح المسكين لمجرد إقناع أبي بأن ينتظر استيقاظي ليودعني أولًا قبل أن يرحل. رأى أبي أن الحصان الوحيد

العجوز لم يعد يبرح مكانه في الاسطبل، وبالتالي لم يعد يحتاج لعامل خاص يتولى شؤونه ويتكلف أجراً خاصًا؛ بإمكان مدبرة المنزل أن تتولى الأمر كجزء من عملها من الآن، وهكذا قرر تسريح (بازل).

ورغم أن السبب يتفق تمامًا مع طبيعة أبي، تملك قلبي وقتها شعور بأن السبب الحقيقي هو أنه أراد حرماني من الصديق، كيف جرؤتُ أن يصبح لي صديق!؟ لابد أنه فكر هكذا! لم تكن الفكرة مقنعة كفاية لكن سخطي وألمي وقتها دفعاني لتبنيها رغم كل شيء.

لكن الحياة كانت تخبئ لي مزيدًا من السوء.

مرض (أنجل) في اليوم التالي لرحيل (بازل)، وكأن رفيقه الشاب كان دافعه الوحيد للبقاء حيًا معافًى. حكت لي الآنسة (ماربل) مدبرة المنزل، أن (بازل) أمضى ساعتين كاملتين يبكي حاضنًا (أنجل)، ويقسم له بأنه سيجمع المال ويعود ليشتريه، ويطلب منه أن يصبر فقط إلى حين عودته، وأوصى الآنسة (ماربل) أن تخبرني بهذا، وأن آتي لأطمئن على (أنجل) يوميًا إلى أن رفيقه (بازل) سيعود من أجله.

حافظت على طلب (بازل) من يومها، لكن (أنجل) المسكين لم يقتنع أبدًا. صرت أقضي أغلب وقتي في الاسطبل إلى جانبه، حتى صرت أبيت إلى جانبه أحيانًا كما كان يفعل (بازل). لكن حالته كانت تسوء يومًا بعد يوم.

لم يمضِ شهر واحد حتى كان (أنجل) عاجزًا تقريبًا عن الحركة. يتنفس بصعوبة، ويمتنع تمامًا عن الآكل.

بكيت كما لم أبك قبلًا.. بكيت كما لا يبكي طفل.. بكيت من أجله ومن أجل (بازل).

"(أنجل).. اصمد أرجوك يا (أنجل).. اصمد من أجل (بازل).. سيأتي ليأخذك وتعيشا معًا بعيدًا عن أبي الشرير.. لا تجعله يأتي فلا يجدك.. (أنجل)...."

وانخرطتُ في بكاء عنيف.

لا أعرف هل غفت رأسي حينها على رقبة (أنجل) في غمرة بكائي أم أنني قد غرقت في البكاء إلى حد فقدان الشعور بما حولي، لكن ما أعرفه وما أذكره جيدًا، أنني أفقت على ركلة خفيفة في كتفي، فالتفتُّ فزعًا، ونظرت لأعلى لأرى وجهه مقنعًا بالظلام!

كانت المرة الأولى التي أرى فيها أبي في الاسطبل.. لم أعرف ماذا هنالك ولكني فزعت. ارتبط لديّ تواجد أبي في المكان بالشر.

أشار لي بصمت أن أبتعد عن (أنجل). فعلت لاإراديًا رعبًا منه. دس يده بزجاجة الخمر في جيبه الكبير، ثم أخرجها تحمل مسدسه الضخم.

جمّدني مزيج من الصدمة والذهول والرعب في مكاني، فعجزت عن أي شيء، حتى انطلقت الرصاصة بالفعل تحسم الأمر.

حدقت مرتعبًا ملتاعًا في جثة (أنجل)، التي شوّه براءتها الثقب الساخن في الجبهة ناصعة البياض، والذي تفجرت منه الدماء بغزارة، وسكن جسد صديقي الوحيد إلى الأبد.

دون وعي أدرت ناظريّ إلى قاتله. يقف جامدًا بلا ملامح.

لم يُخرجني من المكان على الأقل.. لم يطلب مني أن أغمض عينيَ حتى. أي أب هذا!!؟ بل أي كائن هذا!!؟

أخيراً خرج من صمته القاتل حرفيًا، وبصق على الأرض ثم قال بصوت أجش:

"كان يستحق الرحمة!"

وخرج بخطوات ثقيلة، تجثم كل واحدة منها على قلبي بينما يغادر. وهكذا أبى (جورج ريفرسون) إلا أن يحرمني من صديقي الثاني والأخير أيضًا.

كرهته كما لم أكرهه قبلًا.. تمنيت لو أستطيع الهرب، لكني كنت أضعف من ذلك. لم أعرف أبدًا كيف يبدو العالم خارج حدود مزارعنا.. لعله أكثر بشاعة. كما أنني لم أستطع أن أترك أمي وحدها مع الشرير رغم كل شيء.

لم يعد (بازل) أبدًا. وأظنه أدرك بائسًا حقيقة الواقع البائس الأليم.. لعله لحق بـ(أنجل) الآن، أو ربما (أنجل) هو من لحق به. ليتني ألحق بهما أنا أيضًا!

ازداد انعزالي، واكتئابي وإظلامي. توقفتْ أمي تحت ضغط العجز عن محاولة إقناعي بعكس ما أحس وأرى وأسمع، كان هذا مريحًا لي وأكثر صعوبة عليها. لا أعرف حتى الآن هل لم أستطع فهمها أبدًا، أم أنها هي من كانت تخدع نفسها قبل أن تخدعني!

دسست نفسي في اهتمامات عدة كما دسستها في غرفتي لا أخرج منها تقريبًا. التهمت كل الكتب التي وقعت تحت يدي.. عكفت على الاختراع.. استغرقت في بناء عالم خيالي مواز أعيش فيه، لكنه لم يرحني ولم أصدقه أبدًا، فوفرّت وقتي لاهتمامات أخرى أكثر جدوى.

صرت أعيش في البيت ولا أعيش فيه. لا أرى أمي إلا لمامًا، وأحرص ألا أرى أبي أبدًا. استمررت على هذا الحال عدة سنوات لم أصدق أنها قد تمر.

مرض أبي مرضًا شديدًا وأنا في السادسة عشر. عرفت ذلك من زيارات عربة الطبيب المتكررة لمنزلنا. لقد دمرت الخمر أحشاءه، وأصبح طريح الفراش. أستطيع الآن أن أسمع صراخه الغاضب وسبابه لأهل المنزل من غرفتي.

عامان آخران مرا. لابد أن مرض أبي قد تفاقم لأنني ما عدت أسمع صوته منذ مدة. أنا الآن في الثامنة عشر، لكني أحمل روح كهل رغم خبراتي القليلة، لكنها خبرات (ما قلّ وكفَّى)!

حزمت حقائبي استعدادًا للرحيل. أخيراً وللمرة الأولى سأنطلق خارج غلاف كوكب (ريفرسون) لأستكشف العالم الخارجي الغامض. أبحث في داخلي عن حماس لكني لا أجد سوى رغبة في التغيير والانطلاق خارجًا. لا بأس؛ هي كافية لي جدًا.

بخطوات بطيئة، تحركت إلى الشرفة العلوية حيث تجلس أمي. لا أعرف هل أريد وداعها وطمأنتها فعلًا أم أني أتظاهر أمام نفسي بذلك. لم أعد أعرف هل صرتُ مسخًا بدوري أم أن مضخة الدم الصغيرة في صدري مازالت تملك نبضًا حقيقيًا. لم أعد أعرف أي شيء. لقد صرتُ شبح إنسان.

انحنيت على رأس أمي أقبلها من الخلف مودعًا. الحقيقة أنها هي الأخرى قد كبرت أعوامًا كثيرة خلال تلك السنوات القليلة، وتحولت إلى حطام امرأة بدورها. رغم كل شيء أنا أعذرها وأشفق عليها؛ ما بين زوج متسلط وابن فقد الثقة. يا لها من حياة بائسة لزوجة وأم! لكني لا أستطيع أبدًا التغاضي عن أنها هي من سمحت بذلك!

ـ "أنا مسافر يا أمي.. ألا ترغبين بشيء؟؟"

اندفعت أسأل هروبًا من خواطري البائسة، لكنها ظلت صامتة لا تتحرك، أكاد أسمع صوت انسياب الدموع على وجنتيها المخفيتين عن ناظريّ.

ـ "أمي؟؟"

ـ "أبوك يموت يا (مارتن)!"

مستحيل! حتى في هذه اللحظة لم تهتم بشيء سوى علاقتي بأبي!؟ لم أعد أطيق عدم فهمي لكِ يا أمي! فعلًا لم أعد أطيقه!

تمسكتْ بيدي فجأة، ونظرت إليّ بوجه متوسل قائلة:

"صدقني أبوك يحبك يا (مارتن).. يحبك رغم كل شيء.. لم تفهمه أبدًا وهذه غلطته.. لكنه أبوك في النهاية. ثق أنه الآن يندم على كل لحظة لم يضمك فيها إلى صدره.. أنت لا تفهم.. حين تصبح أبًا فقط ستفهم.. لقد خسر كل شيء الآن يا (مارتن).. لا تحرمه من فرصة وداعك على الأقل. أنا أعلم أنك تملك قلبًا أطيب من أي إنسان آخر.. كن أنت رحيمًا بوالدك يا (مارتن)"

اندفعت الجمل تباعًا من بين شفتيها، فلا تعطني فرصة لردٍ لا أجده، أو لانفعال لحظي يسعفني، أو لأي شيء!

نظرت التوسل الكسيرة تلك في عينيها. ما زلتِ الأكثر قسوةً عليّ يا أمي!

✮✮✮✮✮

أفتح الباب، وبخطوات بطيئة أخطو إلى الداخل.

يلتفت إليّ، فلا ألمح في عينيه الذابلتين دهشة أو انفعالًا.

ما أنت يا أبي!؟؟

أقترب من سريره ببطء..

هل تحبني فعلًا!؟؟ إن كنت تحبني فلماذا عاملتني هكذا!؟؟ وإن كنت لا تحبني، فلماذا..... لماذا..... لا أعرف!

ينظر إليّ بنفس الجمود الذي اعتدته منه فيما مضى.. فقط الآن جمود ذابل ضعيف.

لحظات من تبادل النظرات الجامد، ثم أشاح بناظريه قليلًا، متحاشيًا تقابل النظرات، مع إبقائي داخل مجال رؤيته.

دقائق طويلة طويلة مرت عليّ، وأنا متسمر كعود الخشب بجانب سريره. انفصلتُ عن كل مشاعري وأنا لا أدري بم أشعر بالضبط، تجاهه وتجاه نفسي.

لكني لم أكن لأبقى متسمراً هكذا إلى الأبد.

أصابعي المرتعشة تزحف إلى درج الكومود الخشبي، تفتحه أمام نظرات أبي المُراقِبة.

وجدت هدفي كما توقعت. وسحبته ببطء ممسكًا إياه بكلتا يدي.

أصابعي ترتعش بعنف، لكني لا أشعر بأي أي شيء.

سددت المسدس الضخم إلى جبهته، وقلت بجمود:

"أنت تستحق الرحمة.. يا أبي"

لم أبصق.

▬ ■ ▬



أعيذكِ من غفلة القلب عني .. وزهد عن العشق بين المآقي

أعيذكِ من ذاك أمر لأني .. سئمت البعاد وأشدو التلاقي

أعيذكِ من نفسي إن صرت يومًا .. أناجي من الليل بدرًا سواكِ

وأن ترتضي النفس للعين نومًا .. ولم تستق الأذن عذب سُقاكِ

أعيذك من كل شمس رأتك .. فمدت بغيظ ستار الغروب

وأن تشرقي بأرض رجتك .. ولم يلثم المسك ريح الدروب

أعيذكِ بالحب والحب قاض .. قضى لي بعشقك سبيل النجاة

فما عشت أبدا للحظة بماض .. وما كنت قبلك..

قيد الحياة

مفتاح القلب

من ألطف الصداقات التي نمر بها في حياتنا (صداقة اللحظة الواحدة)، وهي صداقة لطيفة تدوم لثانيتين فقط.. حين تمر بدراجتك في شارع ضيق، فيفسح لك رجل كبير الطريق بابتسامة مع غمزة ظريفة تردها أنت بابتسامة أوسع، حين يقطع لك الكمساري تذكرتك في القطار مع عبارة مرحة قبل أن ينتقل إلى المقعد التالي، أو حين تلتفت بعد صلاة الجمعة إلى المصلي بجانبك وتبادله السلام وتمني تقبل الله الصلاة بابتسامة صافية.

تدوم لثانتين فقط، لكنها تحمل من المعاني الكثير، وتترك في القلب أثرًا جميلًا يتراكم فينير القلب جمالًا وصفاءً.. أسميها (صداقة) وليس (معرفة) أو (لقاء)؛ لأنها استوفت كل ما تتطلبه صداقة تدوم لثانيتين فقط: ابتسامة صافية من القلب إلى القلب ☺

ابتسامتك قنبلة كامنة من الود والإشراق، فجرها في كل مكان ☺

يومٌ.. آخر.. عادي!□

"لا أصدق كم كنتُ قريباَ هذه المرة!!"

"كنت أقرب حتى من قرد رضيع على وشك الحصول على موزته الأولى.. لقد كان هذا جميلًا.. قبيييحًا إلى حد جميل.. ولكن في نهاية الأمر: (يأتي الأطباء بما لا يشتهيه المرض)!"

"آه كدت أن أنسى.. أنت يا من تقف حاملًا كاميرتك على استحياء هناك.. اقترب اقترب"

"ماذا!؟ تقول أنني قد ركلتك سابقًا!؟"

"كلام فارغ! وهل تقصد أفعى الأناكوندا أي أذى للآخرين حين تعانقهم؟ إنه الحب يا رجل.. الحب يملأ الأجواء!"

"فيلم وثائقي!؟ عني أنا!؟ وأخيراَ أدركتم حجم القامة التي تعيش بينكم! كم أرغب في معانقة أحدهم الآن! اقترب يا فتى اقترب!"

"انتظر! لا تركض! لم أكن أنوي عضك حقًا.. الأمر فقط أنني أمسي عاطفيَا أكثر من اللازم في بعض الأحيان هيهيهيهيه! أتدري شيئًا؟ لِمَ لا نبدأ التصوير وحسب؟ دعني أبدأ أنا من فضلك من فضلك!"

"أعزائي المشاهدين.. أنتم على موعد مع الفيلم الذي طال انتظاره.. الفيلم الحافل بكوكبة من أروع النجوم حصريًا لعيونكم على منتديا..... آسف آسف لقد اختلط علي الأمر.. تشاهدون الآن (الحياة السرية لأحد شخصيات الأشرار/ Villains الرائعين)! لا يوجد (الرائعين) في العنوان؟ ومن يكترث!؟ سنضيفها لحظة استلام الأوسكار إذن. انتظر لحظة! من هذا الذي

يركض بالأوسكار مخرجًا لنا لسانه؟ إنه يشبه ذاك الفتى من فيلم (تايتانك).. لا بأس.. لنبدأ على أية حال!"

✯✯✯✯✯

لو كان الفزع رجلًا لرأيته يرقص طربًا بهذه الأجواء الظلامية التي تفشت في الأنحاء.. الأنفاس الثقيلة التي أهلكها الجاثوم بوطئه فوقها دون رحمة، والعيون الجاحظة التي تحدق في الفراغ في عدمية ويأس. أحلام النجاة الآن تبدو لك كصورة هولوجرامية مشوشة تلوح لك من بعيد وأنت تهوي نحو هوة الجحيم.. لقد أحكم الشر قبضته على فُلكك وسرعان ما ستغرق في طوفانك الهالك الذي.....

"أنت يا فتى.. هذا ليس بيتي!! أنت تُصوِّر داخل لجنة امتحانات في المدرسة المجاورة.. لنترك هؤلاء المساكين في عذابهم السيزيفي ونذهب من هنا؛ فيكفيهم ما هم فيه أصلًا!"

وقفنا بعدها أمام باب خشبي قديم، مكتوب على سطحه من الخارج عدد من الأرقام المعقوفة ذات لون أحمر قان أدخل الرهبة في نفسي، فأشرت نحوها في توجس كأنني أرى الشيطان نفسه.

"آه.. لقد رأيت الأرقام الملعونة المشئومة إذن.. إنه عدد الأطفال الذين قضوا نحبهم في هذا المكان مسبقًا!"

اندفعَت من حلقي شهقة ملتاعة رغمًا عني، وأنا أحدق فيه غير مصدق لهذا الكم من الشر الذي تجسد أمامي، و...

"ههههه لقد كنت أمزح.. إنه فقط الإيجار الذي لم أسدده لصاحب البيت.. لقد دوّنه لي خصيصًا كي لا أنساه.. أمر مخيف ألا ترى معي؟؟"

ثم نظر إلى الباب متمتمًا ببعض الكلمات الغريبة، وهو يغمض عينيه في تركيز محركًا رأسه إلى الجانبين كأمهر راقصة. أخرجتُ (الصاجات) محاولًا مد يد العون له في هذه التعويذة الصعبة، لكنه فجأة أشار إلى ما ورائي قائلًا بدهشة شديدة: "انظر! عصفورة برأس كلب! لا تخرج قبل أن تقول "(يوغتي) اسم الله!""

ثم ركل الباب بقدمه خلسة ظنًا منه أنني لا أراه، محدثًا سحابة من الغبار الذي تطاير في وجوهنا.

"بعض التعاويذ.. كح كح.. تكون قوية للغاية كما ترى.. تسأل لِمَ صرت أعرِج فجأة هكذا؟؟ إنهاا.. الآثار الجانبية لممارسة ذاك النوع من السحر.. السحر الكوبيا!!"

بعد أن انقشعت أحجبة الغبار، عبرنا إلى داخل (الكهف السري/ المنزل الخرِب غير مدفوع الإيجار). وما إن خطونا إلى الداخل، حتى التفت إلي فجأة صارخًا: "ياللمصيبة! لقد نسيت أمرًا.. هذا خطأ لا يغتفر لا يغتفر!!"

وما كاد أن يقولها، حتى بوغتُّ بذاك الهجوم القادم نحونا، وتلك الأسلحة التي همّت أن تفتك برأسينا وكأننا اقتحمنا معبدًا مقدسًا لأحد القبائل الوثنية!!

"أتقذفينني بالـ(قبقاب) يا امرأة!؟ والله عال!! كيف تجرؤين على إهانة سيد الشر هكذا!!؟"

سمعتُ صوتًا آتيًا من الداخل يشبه صوت أفراس النهر المصابة بالتعنية:

"بالقبقاب!!؟ هتكلمني نحوي!!؟ بقولك إيه أنا لسه ماسحة وكانسة وطابخة ومخصبة يورانيوم عشان تفرقع بيه العالم في العيد انت واصحابك، وانت البعيد مفيش دم وداخل كده كأنك داخل على الخدامة اللي....."

تركني أستمع إلى قصيدة (الردح) هذه متجهًا نحو غرفة جانبية للحظة، قبل أن يخرج منها حاملًا أداة غريبة من أدواته والتي كانت تشبه إلى حد كبير (مصفاة الحوض)، ثم ابتسم ابتسامة عريضة ملوّحًا ليّ في بلاهة وهو يتجه نحو الحجرة التي يصدر منها الصوت.

بعدها عَلَت أصوات ركلات ولكمات اهتز لها البيت، صاحبَها خروج عدد من الشياطين الذين يلطمون على وجوههم راكضين، تتبعهم (الجميلة) وهي تحمل (الوحش) الذي بدا في حالة انهيار عصبي حاد، وفي النهاية خرج رجلٌ متأرجحًا من فرع لبلاب وهو يصيح: "ياللغوريلا الصلعاء!! لقد طارت الجبهة!! أأأأأووااااواواااا"!

الرجل لديه سيرك في منزله إذن! جميل جميل! أكان هذا طرزان!؟ ما الذي يعنيه بالجبهة التي طارت؟؟ هؤلاء المتوحشون مطيرو الجباه.. إنهم الأسوأ على الدوام. إلى أين سينتهي بنا هذا العالم ياترى؟؟

أخيراً عاد هو من الداخل معدلًا ثيابه، وعلى وجهه نفس الابتسامة المزينة بالألوان الحمراء والزرقاء فوق كل معالم وجهه.

"كما ترى فإن زوجتي لا تستطيع إخفاء حبها لي مطلقًا.. صدق من قال (وراء كل معتوه سايكوباتي عظيم امرأة)!"

أمسك بعدسة الكاميرا مقربًا أنفه منها هامسًا: "احرص على إبراز زاويتي الأجمل أمام العدسة.. ها؟؟ أنفي!؟ ماذا عنه؟؟ آه سأهتم بذلك عذرًا!"

وبعد أن ألقى بمنديله على الأرض، دون أن ينسى أن يضحك ضحكة شيطانية أثناء فعله ذلك، رفع يديه نحو الأعلى وهو يقول بصوت عميق: "والآن سترى كيف يبدأ سيد الشر يومه داخل مقره الذي يخشاه الجن الأزرق ذاته.. مواهاااهاهاه!!"

نظر إلى الفراغ كأنه ينتظر شيئًا.. ولكن لا شيء قد حدث! عندها بدأ الغضب يرتسم على تقاسيم وجهه، فقال وهو على وشك أن يشق ملابسه: "أين هو!؟؟ أنا متأكد أنني قد وضعته هنا في مكانٍ ما!!"

فتح أدراج الغرفة الواحد تلو الآخر في عصبية بالغة، قبل أن يتوقف مفكرًا لبرهة، إلى أن أضاءت لمبة (موفرة) فوق رأسه دلالةً على توصله إلى الحل فهتف في نصر:

"بالطبع.. كان عليّ أن أخمن أنها قد وضعته في (النيش)! لن أندهش إذا ما كان أبي نفسه المفقود منذ أعوام موجود بالداخل!.... ها هو! يجب أن أتصل بهم كي أرى ما العطل الذي قد حدث!؟"

كانت بطاقة سوداء اللون مكتوب عليها: (شركة (إبليسكو) لمستلزمات الرعب والأشرار الرائعين / يوجد لدينا خدمة الرعد المخيف الذي يصاحب ضحكات الشر)!

واو! يجب أن نعترف.. هؤلاء الأشرار رائعون حقًا!

✯✯✯✯✯

"الأحمق! قال لي أن أطفئ الجهاز وأعيد تشغيله مرة أخرى.. هع! إنها أقدم خدعة في كتاب (كيف تصير وغد الأوغاد)!"

جلسنا على الطاولة التي يُعِد من عليها جميع خططه الجهنمية التي تُرهب العالم أجمع، وتأملت الجدران التي تحيط بنا حينها.. كانت مليئة بعبارات على شاكلة: [أبطال على مين.. يا وولفرين] و[باتمان هو بروس وين!!] والكثير من الأسرار التي شابت لها رأسي وأنا جالس معه،

وفجأة..

وبينما أنا مندمج تمامًا، إذا به يرتدي قناعًا لـ(سهام سعيد) ويصرخ فيّ بصوتٍ مُفجع:

"مش ندماااااااااان!؟؟"

عندها صرخت صرخة ملتاعة قافزًا من مقعدي، فأخرج هو من جيب عباءته السوداء جهازًا يشبه المحمول إلى حد كبير، ثم قام برفعه إلى الأعلى وهو يميل برأسه إلى الجانب كأن شخصًا طعنه في عنقه، قبل أن يقول ضاحكًا في تشف: "يلا (بوز) المستذئب.. نيهاهاهاها.. آسف لم أستطع المقاومة أردت أخذ (سيلفي) بصحبتك.. كان عليك أن تسمع صراخك الأنثوي ذاك.. بدوت كطالبة في امتحان شفوي!!"

الرجل لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلًا! بل ولقد رفع الصورة على (انستجرام) كذلك.. لا أصدق هل ربته الشياطين أم ماذا!!

أشار إلى خريطة موضوعة أمامه على الطاولة، قائلًا في نظرة حالمة ككابوس لطيف:

"هل ترى كم هو جميل هذا العالم؟؟ الطبيعة الخلابة، والهدوء الذي يربت عليه كأم حانية، الأم.. إنها حقًا... يا لتلك الشمطاء المتغطرسة!! ألا أستطيع الحديث هنا دون أن أسمع نفيرك الذي يهرب منه الزومبي إلى قبورهم مرة أخرى!!؟ فلتصمتي قليلًا بحق (هيدز) و(ماكدونالدز)!!"

"هل أحضرت البيض يا (غراب البين)؟؟"

لطم على خديه مولولًا: "سوف تتسببين في لحاق جنس الدجاج بالديناصورات يومًا ما فلتتذكري هذا.. لا مزيد من البيض.. كفى بيض!!"

"هل أحضرت المال؟؟ هل أحضرت الجواهر؟؟ هل أحضرت لبن العصفو...

أمسك بالخريطة ممزقًا إياها، ثم التهمها وقد كدت أن أرى النار تخرج من أذنيه منفجراَ:

"سأحضر كل هذا عندما أسيطر على العالم.. عندما أسيطر على هذا العالم اللعين الجميل.. والآن هلّا تركتني أستمتع بجماله الآخاذ الذي سأدمره عن بكرة أبيه!؟"

رن جرس الهاتف بعدها ليكون بمثابة البنزين الذي انسكب في فوهة بركان، فتراجعت إلى الخلف في ذعر وأنا أراه يتقدم من سماعة الهاتف وجسده يهتز من الانفعال.. هل تخدعني عيني أم أنه يتحول إلى اللون الأخضر الغاضب!؟ يا للمصيبة يبدو أنه سوف..!!

"هذه هي المرة الأخيرة التي أتناول فيها الفاصولياء.. يا رجل إنها تُحدِث بي ما يحدثه (الكريبتونايت) بذاك الفتى الذي يخطئ ارتداء سرواله.. دائمًا ما أنسى اسمه!"

رفع السماعة، واقتربت بعدستي من وجهه لأسجل تلك التعابير التي انطبعت عليه وهو يقول في فرح غامض: "إذا واصَلَت التذمر.. افعلوا ذاك الأمر الآخر الشرير الذي لا رحمة فيه ريثما أتي إليكم!"

ألقى بالسماعة في حبور تام، قبل أن يهرع إلى زوجته وأمه مخرجًا إياهما من الداخل وهو يقول:

"أنا سعيد.. سعيد للغاية.. زوجتي العزيزة أعطني مخلبك.. آآآ أعني يدك كي أقبلها!"

حدقتْ فيه بانبهار، قبل أن تمد يدها نحوه بابتسامة خجلة. وما إن أمسك بيدها حتى أخذت تتقافز كمن فقد حذاءه في حر (يونيو) والشرر يتطاير

من شعرها مع صوت ضحكاته المخيفة المجسمة، بينما أمسك في اليد الأخرى بكيس ذرة سرعان ما تحول إلى بركان من (الفشار)!

"نياهاهاهاها.. القفاز الكهربي دائمًا ما يُفلح.. أنا شرير شريييير! والآن صافحيني أمي!"

نظرت العجوز إليه في شك، فألقى بالقفاز من يده مبتسمًا: "لم أكن لأفعل ذلك أبدًا بكِ أماه"

فابتسمت أمه بـ(انشكاح) ومدت يدها نحوه، وما كاد أن يلمسها حتى سحبت هي يده ضاربةً إياه (بالبوكس) في وجهه صائحةً: "عليك واحد! هيهيهيهيهيه.. عيب ده أنا ماما يله!!"

ودوى صوت الرعد المخيف مصاحبًا لضحكتها الشريرة، مع صوتٍ مدوٍ قد أتى من اللاشيء يقول فى نبرة إعلانات التليفزيون الرتيبة: "الرعد المخيف يأتيكم برعاية (إبليسكو)! (إبليسكو).. هتهوسكو!"

"حقاااا!!؟ الآن صرت تعمل!!؟ لا ملعوبة دى يا (ست الحبايب).. على كلٍ سأغادر الآن!"

سألته زوجته التي صارت تشبه مهاجمي (السنغال): "لماذا!؟ ما الذي ستفعله الليلة يا (فالِح)؟؟"

تأكد أن الكاميرا موجهة نحوه، ثم استدار في حركة مسرحية ناظرًا إليها بجانب وجهه:

"ما نفعله كل ليلة يا (وش النحس).. نحاول السيطرة على العالم!!"

تبدو تلك جملة جديدة رائعة.. سوف أقوم بتسجيلها قبل أن يستخدمها شخصٌ آخر!

بعد أن ودعتنا زوجته وداعًا يليق بزوجة شرير (أد الدنيا)، وهي تجلس على الأريكة متربعة وقد لفت رأسها بمنديل غريب الألوان -أعتقد أنني قرأت عن هذا الوضع في كتاب (دع الأفراح واحضن النكد) مسبقًا.. كانوا يسمونه وضع (فا ـ طنة) على ما أذكر!- تحركنا معًا في خفة الفهود كأننا مقاتلا نينجا محنكان قد اتخذا من أحجبة الليل وظلال عربات الكبدة ساترًا لهما.. ذاك الداهية! لابد وأن لديه دستة من الأعداء على الأقل.

" هل تظن أن أحدًا قد رآنا؟؟ يجب أن (أزوغ) بجلدي من الدائنين الحمقى.. فلتصفعني حفاظة (كيوبيد) إن كنت سأعطي لهم قرشًا واحدًا!"

ابتعدنا عن نطاق البيت بضعة أمتار، قبل أن يستوقفني قائلًا في حماس بالغ: "والآن، ألم تسأل نفسك يومًا كيف يحصل الأشرار على تلك الأزياء الرائعة؟؟ راقب هذا"

أدار وجهه ذات اليمين وذات الشمال، فلمّا اطمئن أن الطريق خال من المارة، مدّ يده ناحية (حبل غسيل) مدلى أمام شباك في الدور الأرضي، ثم جذبه قائلًا في انتشاء: "(هوًّا لا بوًّا)!.. تلك هي سياستي الخاصة في الحصول على ملابسي.. نياهاهااا.. لنرى علام عثرنا اليوم في مجموعة أزياء الشتاء للمصمم العالمي: (ال-دل-عدييي)!"

تركته ينشب مخالبه في كومة الملابس كمراهقة في يوم التخفيضات، بينما وقفت أتابع ذاك النمس والخنزير البري الواقفين إلى جوارنا، حين قال الخنزير متظاهرًا بالعبقرية:

"[هوًا لا بوًا]!.. ما رأيك في هذا الشعار الذي اخترعته للتو يا (تيمون)؟؟"

صفعه النمس على قفاه عدة مرات على سهوة وهو يقفز في الهواء صارخًا: "(بومبا) يا برميل الغازات المتحرك.. نحن نملك شعارًا بالفعل! والآن دعني أبحث عن أم أربع وأربعين العرجاء التي أضعتها مني بغبائك المستفحل.. [هؤا لا بؤا] يا صاحبـــي!"

قفز زعيم الشر بعدها أمامي دون سابق إنذار وهو يرتدي (كالسونًا) غريب الشكل، وعليه (البيجاما) المخططة الشهيرة التي كان يرتديها الناس من أيام الهكسوس، وكان يربط رأسه بمنديل أحمر فاقع اللون.

"كنت أريد أن أضيف بعض الشحوب كذلك كي أبدو مثل شخصيات (Twilight) الأقوياء واضعي المساحيق.. أنت تعرف أن المراهقات تعشقن هذه الأمور!"

عبرنا بجانب الحاجة (أم سيد) التي كانت تطارد أحد مصاصي الدماء ملقيةً بفصيّ ثوم في عينه وراشقةً إياه بالملح سبع مرات، بينما أطفال الحارة يحاولون ربطه بسلسلة من عنقه كي يضعوه على السطح. المسكين! لم يكن قد انتهى من وضع الـ(eye liner) حتى!!

في الأخير وقفنا أمام محل قديم مكتوب على بابه من الخارج [المقر السري الخفي - ممنوع الاقتراب خاصة من الأبطال الخارقين.. الإمضاء (عصبة الشر)]، وموضوع قبل (عصبة الشر) كلمة (مش) بلون آخر!

"إنهم رجالي ذوي (IQ) الطحالب.. لا يستطيعون فعل شيء بأنفسهم.. كان علي أن أنقذ الأمور بنفسي كالعادة!"

طرق على الباب فسمعنا من الداخل صوتًا يقول: "ما تمايني.."، فاقترب هو من الباب مدمدمًا: "مايني!"

- "مايني"

= "مايني"

وبعد نصف ساعة من الـ(مايني)، هرش في رأسه قائلًا: "كم كان عددهم؟؟ لنَعُد من البداية!"

لطمت على صدغي حتى كدت أن أصاب بالفالج، ولكن لحسن الحظ دخلنا قبلها!

"مساء الظلمات يا كبير.. أقترح أن نغيِّر كلمة السر بعد ذلك إلى أغنية (هأو) بتاعت (عديلة)!"

"فكرة جيدة يا (ديك البرابر).. والآن، أين الفتاة؟؟ ألازالت تتذمر؟؟"

ابتسم (ديك) في خبث مجيباً: "تركتها مع (بوز الإخص).. أنت تعلم ما الذي يعنيه هذا!"

تعالت ضحكاتهما معًا، وأنا أتخيل المصير الأسود الذي تقاسيه المسكينة الآن. دخلنا إلى الحجرة المجاورة، وحينها.. وقعت عيناي على المشهد الذي لن أنساه ما حييت!

كانت الفتاة جالسة على كرسي، وإلى جوارها يقف رجل يرتدي جلبابًا بنفسجي اللون، وقد اقترب من أذنها هامسًا بصوت كالفحيح: "أتدرين كيف حصلت على لقب (بوز الإخص) هذا؟؟ لقد كانت أمي معتادةً على أن تقول لي (خد الزبالة معاك وأنت نازل)، وكنت دائمًا ما (أنفض لها).. إلى أن اقتربت مني في يوم من الأيام قائلة "لنضع بعض (الإخص) على هذا (البوز)!!".. ومن وقتها صرت كما ترينني الآن مواهاهاهاهاه!!"

كانت الفتاة تصرخ في هلع تام، عندما تابع (بوز) مشيراً إلى امرأتين:

"(أمنا الغولة).. (أنا أصلًا بنوتة مشكلة) شوفوا شغلكم!"

لن أقدر على شرح كل ما حدث نظرًا لكم البشاعة التي رأيتها، لكنني أذكر جيدًا عبارات مثل: (هنفرح بيكي امتى يا حبيبتي؟؟) و(كل صاحباتك اتخطبوا خلاص!).. أكاد أسمع تصفيق (ريا) و(سكينة) الدامعتين فخرًا وهما تقولان أن هذا أكثر شيء شرير قد رأتاه في حياتهما!!

اقترب بعدها زعيم الشر من الفتاة المنهارة وقال في سخرية: "ما بالك؟؟ أثمة خطب بك؟؟"

"مافيش.. أنا كويسة"

نظر الجميع إليها بدهشة وبأفواه متدلية، قبل أن يتساءل الزعيم مجددًا في حذر: "ماذا حدث؟؟"

"عادي.. ماتشغلش بالك!"

كاد الزعيم أن يسقط على الأرض بعدها وقد ارتفع ضغط دمه، لولا أن لحقه رجاله بـ(حباية) الضغط وكوب من المياه، فشكرهم وهو يستند إليهم كأنه قد صار في السبعين بغتة، ثم عاد يقول: "إن تركناكِ وحدك تتذمرين.. وإن سألتك ما بك تقولين (مافيش).. ماذا!!؟ هل تظنينني ساحرًا؟؟"

ثم تذكر وجودي، فنظر إلى الكاميرا عاضًا على شفته السفلى أن (كده وكده). أما الفتاة فقد قالت وقد أخذتها الجلالة: "المفروض انت اللي تفهم لوحدك مش أنا اللي أقول!"

"بحق كل الأشرار أي نوع من الجبروت هذا!!؟ كفانا هراءً! لم أعد أريد السيطرة على سلسلة محلات (عالَم المخلل) التي يملكها والدك"

وحين لاحظ دهشتي التفت نحوي قائلًا:

"أجل هذا ما أردت السيطرة عليه بالطبع.. وماذا كنت تظن!؟ أنني سأذهب لأسيطر على العالم مثلًا!؟ أفِق.. نحن في (الحطابة) يا ابني!!"

وما إن أتم عبارته، حتى فوجئنا جميعًا بباب المقر يطير نحو الخارج في قوة ساحقة، ومن خلفه رأينا ذاك القادم المدمر. كان يقف واضعًا يديه في جذعه، ويرتدي ملابس زرقاء توشك أن تتمزق في أية لحظة من فرط ما أخفت أسفلها من تلال عضلية كاسحة.

"ما هذا!؟ رجلٌ عادي يرتدي سروالًا مضحكًا!؟ ما الذي تريده!؟" تساءل الزعيم متعجبًا!

لطم الرجل جبهته في يأس، ثم خلع النظارات التي كان يرتديها تنكرًا، فأشار إليه الزعيم في رعب صائحًا: "سوبرمان!! لا أصدق كيف اكتشفت مقري السري!! وما الذي جاء بك!؟؟"

"لقد جئت من أجل هذا.. أعده إلي فورًا!"

كان يشير إلى المنديل الأحمر الذي ارتداه الزعيم على رأسه والذي حصل عليه سابقًا.

"أكان هذاا.. سروالك!؟ كنت أظنك تعلمت ارتداء ملابسك بالطريقة الصحيحة أخيرًا!!"

أخرج (سوبرمان) من سترته مزمارًا مكتوبًا عليه (خاص بتجميع الأشرار)، ثم بدأ ينفخ فيه كما يفعل مدربو الثعابين، فتحرك الجميع من خلفه وهم يؤدون رقصة (ماكارينا)، والزعيم يصرخ في غضب: "كلاااا!! لن ينتصر الخير مجددًا!! لا أصدق كم كنت قريبًا هذه المرة!! ولكن (تأتي السراويل بما لا يشتهيه الشر). أنت يا فتى لا تنس إرسال الفيلم لي في السجن. كلا كلا لا داعي للشكر.. فقط لا تقم بإرساله إلى أمي وزوجتي رجاءً.. كفانا فضائح"

وفي نهاية الصف كانت (أمنا الغولة) تدفع (أنا أصلًا) في ظهرها وهي تقول في غيظ: "قدامي.. قدامي يا (أخرة صبري)!!"

فوقفت أرمقهما في ريبة وهما تبتعدان عني، وأنا أشاهد اللاصقة المعلقة في زي الأخيرة، والتي كُتب عليها (1x).

ثم بدأ كل شيء يتضح على نحو مباغت!!

(أخرة صبري).. اسم يبدأ بـ(ألف وصاد)، حرف الـ(x) يدل على أنه فريد من نوعه مجهول كمعادلات رياضة٢.. والرقم (١) يدل أنه كان (الألفا) في كل حاجه تقريباَ!!

أيعقل أن يكون ما أظنه صحيحًا!!؟؟

أيعقل أن تكون (أنا أصلًا بنوتة مشكلة) هي...

"مستحيل!! هذا الرجل مستحيييييل!! كيف تتركني هكذا دون أن تفك وثاقي!!؟؟ أنت يا هذا هل أصبت بالصمم!!؟؟ ألا تسمعني!؟؟ ماذا بك!؟؟"

التفتُّ إلى الفتاة المكبلة بجانب عيني، ثم ابتسمت بخبث مغمغمًا وأنا أغادر المقر: "مافيش!"

....

"هه! العدالة.... قد سوِّيت"

قالها ذاك العجوز أصلع الرأس الذي وقف من ورائي مرتديًا بذلة كحلية جعلته فاتنًا حقًّا..

لكن هذه.. قصة أخرى!

إنـتـي ♥□

إنتي قلبي
ساكنة فيا
إنتي كل الدنيا ليا
إنتي روحي
لو تروحي
يفضى كل الكون عليا

****

إنتي شمسي
نور حياتي
وإنتي سندي وإمداداتي
إنتي قصة
بحبكة خاصة
أجمل من كل حكاياتي

إنتي أملي
وإنتي غايتي
إنتي فرحي وابتسامتي
ووقت ما أبكي
بدون ما أحكي
بلقى عينيكي مرايتي

****

إنتي قلبي
ساكنة فيا
إنتي كل الدنيا ليا
و ف هواكي
يا ملاكي
أهبك كل الكون هدية

تهويدة صغيرة للعالَم

وقف العجوز (نديم) عازف الكمان منحني الظهر كعلامة الاستفهام، أمام هذا الجمع الضئيل من الجماهير الثملة محييًا. كان يوزع ابتساماته التي زادت من تجاعيد وجهه النحيل، في حين أمسك السيد (مراد) بزجاجة براندي وهم بقذفه بها وهو يقول باصقًا: "فف! ألا يعلم ذاك الفأر الأجرب أننا قد مللناه!؟ لِمَ يواصل تصديع رؤوسنا بهذا النشاز إذن!؟"، وكذا قالت السيدة (نرجس العمري) وهي تشيح بأنفها في تقزز، وأمّن عليها (محمود) بيه رافعًا رأسه المتخضب عن الطاولة للحظة، قبل أن تسقط مرة أخرى غارقةً في أحلام النبيذ!

كانت صيحات الاستهجان تنهال على المسرح موَقَّعةً بكل ما يصلح للقذف على الطاولات، والعجوز لايزال واقفًا يرفع رأسه نحو الأعلى قليلًا، كقائد أوركسترا يعتد بنفسه بعد أن انتهى من سيمفونية رائعة للتو. أنهار الحبور التي ملأت أخاديد وجهه المنهكة أشعرت مدير الصالة بالمزيد من القلق؛ ربما مخافة أن يظن الناس أنه يُشغِّل لديه رجلًا خرِفًا لا يدرك ما يدور حوله، أو لعله الإشفاق على هذا الكهل من براثن الهمازين واللمازين ذوي الفراء الاصطناعي. كلا الاحتمالين سيان، المهم أن ما نتج عن ذلك هو إغلاقه للستار، لتتواصل بعدها أصوات الملاعق المقذوفة وهي تتساقط أرضًا بعد ارتطامها به.

"لقد... أرهقني العزف الليلة.. سأذهب لكي أرتاح"

أطبق المدير شفتيه صامتًا. في النهاية العجوز لا يكلفه سوى بضعة جنيهات. يعلم الله أنه لولا زيادة أجور الفنانين هذه الأيام لكان قد تركه يعزف في الشارع إلى جوار الجدجد![1]

حيا (نديم) بائعة اللبن التي يمر بها كل يوم، وطلب منها ثلاثة أكياس معللًا بأن الشغل كان (عال) هذه الليلة.. لم ينس أن يخبر جاره الأستاذ (محسن) موجه الرياضيات السابق أن يأخذ علاجه قبل أن يخلد للنوم؛ فقد صار كبيرًا ولم يعد

عقله يذكر شيئًا، أما هو فالشباب لايزال يسكن جسده بالطبع، وأمامه الكثير من الأعوام قبل أن يحتاج إلى أمر مماثل!

أمسك بالطبق البلاستيكي الموضوع أمام باب غرفته الأرضية، ثم صب أحد الأكياس فيه متبسمًا في دهشة: "يا الله لقد كانوا جوعي! لم يتركوا ولا قطرة واحدة!"

وضع المفتاح متظاهرًا أنه ينظر إلى الأمام دون اكتراث، ثم تحركت عيناه كخرزتين نحو الجانب فجأة، ملتفتًا إلى تلك الورقة الموضوعة إلى جوار الحائط. على الفور تهللت أساريره، وأخذ يقفز في سعادة كأنه طفل صغير، قبل أن يتذكر وجود جيرانه، فوضع يده على شفتيه كاتمًا ضحكاته في صعوبة، وانحنى آخذًا الورقة ليصطحبها إلى الداخل.

جلس على فراشه منزوع الحشا، وسط الخلاء الذي تمتلئ به غرفته المستأجرة، وشرع يقرأ ما دُوّن في الورقة بأصابع مرتجفة وعينين متسارعتين:

" إلى السيد المحترم (نديم).. كنت رائعًا الليلة كعادتك.. ستظل دائمًا وأبدًا فناني المفضل.. مع خالص حبي"

طوى الورقة، والدموع تنهمر على خديه، وأنفه محمرّ من فرط ما جاشت به نفسه. تنهد عدة مرات محاولًا التقاط أنفاسه التي طارت لتحلق في سماء الغرفة الضيقة التي لم تعد تتسع لها. كانت الحياة كلها ملكٌ له الآن!

ظل ينظر في الورقة عدة مرات، ما بين فضها وطويها، وما بين ضحكه وبكائه، إلى أن احتضن حقيبة الكمان بين ذراعيه المتعبتين، واستلقى فوق سريره واضعًا الورقة إلى جوار عدة ورقات أخرى كان يحتفظ بها داخل علبة كرتونية قديمة.

ثم غط في النوم هانئ البال، كملك يتدثر في نعيم قصره الفاره، ناسيًا أن ينزع حذاءه.

في الخارج، وقف صبي صغير مغبر الوجه بالي الثياب، يحدق فيه بابتسامة حانية مشفقة، وإلى جواره تقف فتاة أخرى تكاد لا تُرى من الأرض من ضآلة جسدها،

وهي تدفعه في عناد طفولي لكي تقف على الصندوق الموضوع خارج نافذة الغرفة. أفسح لها المجال أخيراَ قافزًا من على الصندوق وهو يقول:

"هيا بنا"

"ولكن لِمَ تفعل ذلك يا أخي! ؟ أنا لا أفهم! أنت تنفق جزءًا كبيراَ من النقود التي نحضرها كل يوم على طباعة رسائلك هذه! ما الفائدة من هذا كله!؟؟"

وضع يده مربتًا على واحدة من القطط التي وقفت تحتسي اللبن من الطبق في نهم وطمأنينة، قبل أن يجيبها بهدوء:

"هذا الرجل اعتاد أن يتذوق طعم البؤس والشقاء مثلما نفعل نحن تمامًا، لهذا لم أكن لأسمح لهذا العالم القاسي أن يهدم آخر حجر يلجأ إليه ببدنه الضعيف لكي يحتمي من برد الشتاء. انظري إليه كيف ينام سعيدًا ناسيَا كل ما كان فيه من تعب. من أجل هذه اللحظة أختي.. من أجل هذه الابتسامة الشاحبة التي لا تعبأ لشيء فقط.. فعلت هذا!"

قالها وعلى شفتيه انفراجةٌ باشةٌ عريضة، جعلت عينيه مغمضتين وهو يستدير ناحية أخته الصغيرة.

غير أن قطرةً من الدمع قد تسربت من زاوية عينه رغمًا عنه، كتهويدة* غناها قلبه من أجل أن ينام العالَم عن إيلامهم قليلًا!

*الجدجد: حشرة تُعرف أيضًا بـ(صرار الليل).

*تهويدة: أغنية تُقال للأطفال عند النوم.

I have an idea

I have an idea.. lets write a song
I have an idea.. words should be strong
"I have an idea", this will be its name
I have an idea.. here we start the game!

I have an idea.. lets dance on sea
I have an idea.. lets plant a tree
I have an idea.. come to seek a treasure
I have an idea.. to spread more pleasure

I have an idea.. lets count the stars
I have an idea.. lets sleep on the moon
I have an idea.. lets colour the sun
I have an idea.. why don't you have one!?

Rise above hate!
There your love waits
Fill the air
with your care
Open your heart gates

Draw your own sky!
jump and feel high
yes you can
you got the plan
Just give it a try

♫♫♪ ♫♪ ♫♪ ♫♪

I have an idea.. time to face the world
I have an idea.. and let our talents out
I have an idea.. let the ground feel your feet
I have an idea.. LETS RISE THE BEAT!
I have an idea.. lets follow our dreams
I have an idea.. lets make some teams
I have an idea.. we have war to win!
I have an idea.. hope has no fin!

Rise above hate!
There your love waits
Fill the air
with your care
Open your heart gates

Draw your own sky!
Jump and feel high
Yes you can
You got the plan
Just give it a try

Rise above hate!
There your love waits
Fill the air
with your care
Open your heart gates

Draw your own sky!
Jump and feel high
Bind your pain
with a chain
leave and say "bye"
Let your fears die
Yes we can
We got the plan
Here the dreamers fly♪

I have an idea, lets change this world :)

خاتمة□

" I have an idea, lets change this wooorld ♫ "

رفعت رأسي مبتسمًا، فوجدت (إلهامي) يقف مستندًا على جانب البوابة، مشيراً لي بأن (أزف الوقت).

طرقعت بإصعبي ليتلاشى الجيتار الفانتازي من يدي، وقمت واقفًا بتكاسل، لأقول بمزاح طفولي:

"كانت رحلة قصيرة!"

ضحك (إلهامي) وقال:

"رحلاتنا إلى (فانتوبيا) دائمًا تكون قصيرة مهما طالت يا صديقي.. ورحلة اليوم بالذات كانت أروع من أي رحلة سابقة"

تقدمت من البوابة المفتوحة حتى وقفت أمامها، أتمعن في الألوان السابحة في أفلاكها، ثم التفتُ إلى العالم الأكثر سحرًا على الإطلاق من خلفي، وتنهدت قائلًا:

"سأشتاق حقًا لهذا المكان!"

ابتسم (إلهامي)، ونظر إلى زهرة الساكورا البراقة في يده قائلًا بحماس:

"سنعود إليه.. قريبًا"

☆☆☆☆☆

"هذه هي مشكلة الفانتازيا؛ ما إن تخطو داخل عالمها حتى يصبح الخروج أمرًا صعبًا للغاية! أظن بأنني سأظل على هذه الحال عدة أيام يا صديقي الكونت!"

قلتها وأنا أغلق الكتاب، الذي توهج بهالة أرجوانية خافتة قبل أن تنطبق صفحاته على بعضها بصوتٍ مكتوم، محدثًا غبارًا ذهبيًا من حوله للحظات.

أرجع (إسلام) رأسه إلى الخلف قائلًا في ثقة: "وهذه هي متعة الفانتازيا يا عزيزي اللورد.. سنظل هكذا إلى أن يحين الوقت لكي نعبر البوابة من جديد.. ماذا كنت تسميها؟ (رستاو)؟؟"

ابتسمتُ في خبث وقد سرني أن أشرحها أخيراَ: "(رستاو) هي البوابة السماوية التي يعبر منها الناس إلى العوالم الأخرى طبقًا لنصوص الأهرامات.. أمرٌ مذهل أليس كذلك؟"

ضغط (إسلام) على رأس تمثال (الرجل ذو الأنف الأحمر الطويل)، فانفتح الحائط من ورائه كاشفًا عن عدد هائل من الكتب التي كانت تحوم في الفراغ كأنها أسراب من الطير الخرافي، قبل أن يعقد (إسلام) ذراعيه أمام صدره قائلًا في غموض وهو يشير برأسه نحوي: "ما رأيك أن ننسى الفراعنة قليلًا ونلقي نظرة على هذه الكتب السرية؟ أشعر أن المغامرة القادمة على وشك أن تبدأ الآن!"

سرنا نحو الكتب وكلٌ منا يمد يده نحو طرف الصفحة الأخيرة من كتاب (فانتوبيا) نغلقها كالستار من ورائنا وأنا أردف بصوت تردد كالصدى البعيد: " فلنبدأ إذن، نحن جاهزان وأنتم ماذا عنكم ..أمستعدون لاستكمال الرحلة؟؟"



الفهرس

□

إلهامي مجدي عبد المنعم

- طبيب امتياز من مواليد مدينة طنطا.

- شغل منصب أمين اللجنة الثقافية والسياسية باتحاد كلية الطب جامعة طنطا، وهو أحد مؤسسي المكتبة الثقافية بها، وله عدة أنشطة فى مجال العمل الطلابي والثقافي، أبرزها مسابقة (انشر كتابك) التي صدر عنها كتابي (شيزلونج) ٢٠١٣، و(رسم قلب) ٢٠١٤.

- فاز بمسابقات أدبية عدة، ونُشرت له أعمال أدبية في عدة كتب جماعية سابقة تنوعت ما بين قصص وخواطر وشعر، أبرزها قصيدة (بطاقة هوية)، خواطر (أحاديث الليلة الأولى)، وقصتي (سبعة مليمترات من الجحيم) و(شانزلزيه).

facebook.com/king.hakowa
facebook.com/Fantopia.Elhamy

إسلام علي عبد الفتاح

- من مواليد مدينة الإسكندرية.

- يعمل مراجعًا لغويًا ومنسقًا داخليًا مع عدد من دور النشر المصرية، وله عدة مشاريع تثقيفية في الوسط الأدبي المصري، أبرزها (فانتاسي فورمرز) لتقديم الخدمات الإبداعية المختلفة، و(كالنقش على الحجر) لكتابة وإنتاج القصص للأطفال.

- شغل منصب أمين اللجنة الثقافية والسياسية باتحاد طلاب كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

- فائز بالمركز الثاني في مسابقة (فانتازيا الثورة) عن نوفيلا (ثورة خيال)، التي نشرت في كتاب يحمل نفس اسم المسابقة، كما شارك في كتاب (عن الخيال نتحدث) بقصة قصيرة بعنوان (نيجاتيف).

facebook.com/ISCOTO
facebook.com/Fantasy.Islam

مستعد لاستكمال الرحلة؟؟

facebook.com/FantopiaBooks

facebook.com/groups/FantopiaBooks